كتاب

تشنيف السمع بانسكاب الدمع

تأليف

العلامة الصفدي شارح لامية العجم

الطبعة الأولى سنة ١٣٢١ هجريه

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر
لصاحبها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهلية)

كتاب

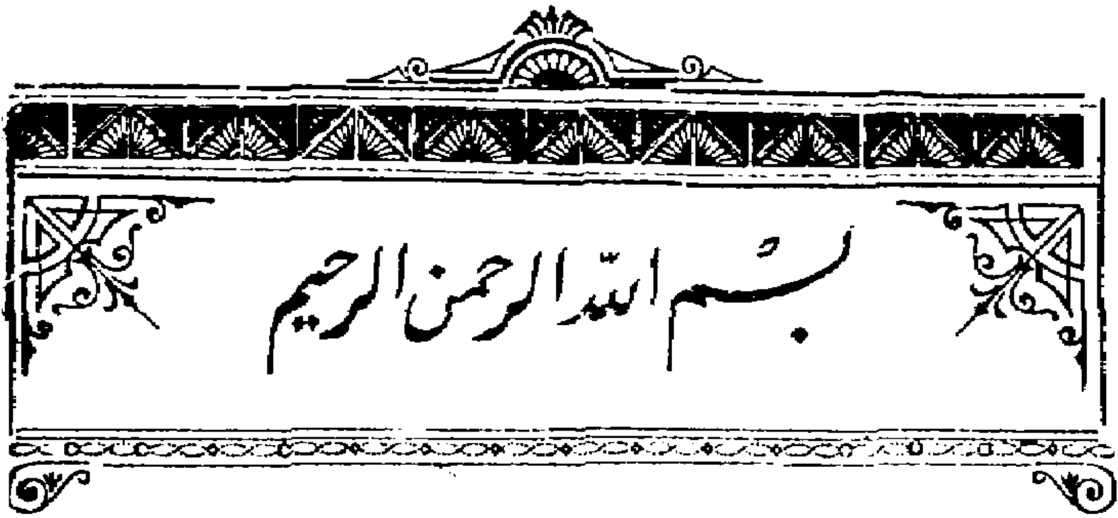
﴿ تشنيف السمع بانسكاب الدمع ﴾

تأليف

﴿ العلامة الصفدى شارح لامية العجم ﴾

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٢١ هجريه ﴾

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر)
« لصاحبها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهلية »



الحمد لله الذى جعلنى ممن سما بالعلم وسمح • وصحا قلبه من سكرة الجهل وصح * وملأ قلمه ملأ الآداب بالملح * ورأى شفاء سطوره فرشف منها اللما حين لمح • أحمده حمد من اقتدي بالهدى فأضاء له ما اقتدح * وضرب صفحاً عن حاسده واتقى لما أنقح • وورد منهل التفويض الى الله تعالى فصفا له لما صفح • ومال الي الغض من رياض الاغضاء فجنى ثمارها لما جنح • وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة من طفا بها يقينه وطفح • وانتشق عرفها من حدائق الايمان فنفى البهتان لما نفح • وأشهد أن محمداً عبده الذى نص على نشر العلم لما نصح • ورسوله الذى من اتبع هداه فقد نجا ومن انضم لهداه فقد نجح • صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين اقتبسوا من سناه لما سنح • وامتثلوا أوامره فما منهم من اجترأ عليه ولا اجترح • صلاة سرى لنشرها بين الجنان وسرح • وأطرب صدى طائرها لما صدح • ما انسفك دمع المحب وانسفح • وجري من الجفون وجرح • وسلم تسليما كثيراً الي يوم الدين (وبعد) فاني لما رأيت الشعراء قد

أطنبوا في ذكر الدمع وبالغوا في وصفه ضمن الرثاء والتشبيب وتفننوا وسلكوا في تشبيه طرقا متشعبة واستعملوا فيها ضروباً مختلفة (فاول) مراتبهم أنهم ذكروه من غير مبالغة في أمره كقول امرئ القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول قيس بن دريج

هل الحب الا زفرة ثم عبرة * وحرّ على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع تستهل اذا بدا * لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

(وثانيها) أنه فاضح سرهم وكاشف أمرهم لمن يحاولون كتمانه من ذوى قرابة المحبوب والرقباء ويجعلون الذنب في إفشاء السر المكتم له كقول العباس بن الاحنف

لاجزى الله دمع عينيَ خيراً * وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئاً * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

وكقول عليم بن أروح الكلبي

وقال له الواشون باح وصدره * على بعض أطراف الودائع مغلق
وما باح الا أن إنسان عينه * لذكراك من ماء الصبابة مغرق

(وثالثها) أنهم أخرجوه عن دائرة المعهود وجعلوه متصل الجري دائم الهمول من غير فترة في وقت دون وقت كقول الحماسى

وما في الارض أشقى من محب * ولو وجد الهوي حلو المذاق
تراه باكياً في كل حال * مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكى إن نأوا شوقا إليهم * ويبكى إن دنوا خوف الفراق

وكقول المجنون

الا طالما لاعبت ليلى وقادني * الى اللهو قلب للحسان تبوع

وطال امتراء الشوق عيني كلما * نزفت دموعا تستجد دموع

و (رابعها) أنهم تمدّوا هذه الرتبة وادّعوا فيه أنه مثل المطر حتى سقوا به الديار ورووا به الأطلال الدارسة المقفرة كقول ابن ميّادة

ألا من لعين لا ترى أبرق الحمى * ولا جانب الصّمان الا استهلتِ

بماء لو أن المزن جاد بمثله * رضينا بما جادت به حين ولّتِ

وقول أبي الطيب

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا * لأهله وشفى أنّا ولا كربا

سقيته عبرات ظنها مطرا * سوائلا من جفون ظنها سحبا

و (خامسها) أنهم ما وقفوا بعد عند هذه الغاية بل تجاوزوا حدها وشبهوها بالأنهار الجارية والغدران الطافية كقول أبي تمام

فأبدت جمانا من دموع نظامها * على النحر الا أن ناظمها الشفر

وما الدمع ثاني عزمتي ولو انها * سقى خدها من كل حين لها نهر

و (سادسها) أنهم ما ارتضوا بهذا القدر وعدوه من القليل النذر بل ادعوا أنه مثل السيول المتحدرة من أعلى الربى الى بطون الوهاد كقول الشاعر

يا سائق الظعن قلبي في رحالكمو * أمانة رعيها والحفظ إيمان

ردوا المطيّ وإلا ردها نفسي * وأدمعي فهما سيل ونيران

و (سابعها) أنهم نظروا الى الغاية الممكنة في ذلك فلم يجدوها الا في البحار والطوفان فادعوها لدموعهم وبثوها في جموعهم كقول العباس

ابن الاحنف

لكل جفن على خدى على حدة * طريقة دمعها مستوثق سار
استمطر العين لاتخفى مدامعها * كأن ينبوع بحر بين أشفار

وكقول مسلم بن الوليد

أبعد أبي موسى أسر ببلدة * من العيش أو أفضى لشيء من الدهر
بكيت فما تغنى الدموع ولا البكا * كأن دموع العين تغرف من بحر

ومن الرتبة الثالثة الى السابعة وقوع ماأدعوه غير ممكن في العادة والعقل وكلما علت رتبة زاد امتناع الأمكان لأن مادة البكاهي من فضول تصعدت الى الدماغ من الرطوبات المنفصلة من غذاء الجسم على مايأتي بيانه في المقدمة الثانية ولكن هـذا من المبالغات الشعرية التي لاتنخرط في سلك التحقيق والا من أين للدمع مادة الطوفان أو البحر أو السيل أو المطر ومتى سقى المنازل أوجرى دائما على مر الاوقات ولكن هذا من سعادات الشعراء وشرف الشعر أنه يجوز فيه الكذب ثم لايرضى لمن كذب فيه بالتصديق له حتى يعد من الأحسان ويتلقى بالقبول وكلما زاد الشاعر في دعوى غير الأمكان عادة وعقلا كلما استحسن منه ذلك ثم يقنع له بالتصديق على كذبه حتى يقال له والله أحسنت فيصـدق على الباطل ويزاد يمينا مع ذلك حانثة ثم لايقتنع له بالتصديق واليمين حتى يكون العمل به سنة تتبع وأمراً لايليق الخروج عنه عند ذوى المروءآت والأحساب والنفوس الأبية . يقال أن يزيد بن مزيد الشيباني لما بلغه قول مسلم بن الوليد فيه

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيـه من الكحل

كانت بين يديه جارية تطيبه فقال لها قومي فقد حرم مسلم علينا الطيب وكان قد التزم ان لا يكذب شاعراً يصفه بوصف (يحكى) أن الرشيد دعاه في بعض الليالى وقال للرسول جئني به على الحالة التي يكون عليها فألفاه على شرابه فى ثياب المنادمة فحمله اليه فلما رآه الرشيد قال له ما أراك الا أكذبت شاعرك في قوله

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يأتي على عجل

فقال يا أمير المؤمنين ما أكذبته وكشف الحلة التي عليه فرأى الرشيد الدروع وهي عليه بين ثيابه والله أعلم

ولما قدم الاعشى مكة تسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت له أنت رجل فقير خامل الذكر ولك بنات وهذا الاعشى محظوظ ما مدح أحدا إلا ارتفع ولا هجا احدا إلا وضع وعندنا لقحة فلو سبقت الناس اليه ونحرت واحتلت له في شراب لرجوت لك حسن العاقبة فسبق المحلق اليه فأنزله ونحر له وخبزت امرأته وأخرجت له نحياً فيه سمن وجاءت بوطف فيه لبن فلما أكل الأعشى واصحابه وكان في عصابة من عشيرته قدم اليه الشراب واستوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جرى فيه الشراب وأخذ منه الكاس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال له الاعشى كفيت امرهن فأصبح بعكاظ ينشد قصيدته

أرقت وما هذا السهاد المؤرق * وما بي من شوق وما بي معشق

حتى قال فيها

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة

نفى الذم عن آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

ترى القوم فيها سارعين وبينهم * مع القوم ولدان من النسل دردق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار بالبقاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق
ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه * كما زان متن الهندواني رونق

فما اتم القصيدة الا والناس يتسللون الى المحلق يهنئونه ولم تمس واحدة من بناته الا في عصمة رجل أفضل من أبيها بألف ضعف • ولله در ابي تمام الطائي حيث يقول

وما هو الا القول يسرى فيغتدي * له غرر في أوجه ومواسم
يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة * ويقضى بما يقضى به وهو ظالم
ولولا خلال سنها الشعر ما دري * بغاة الندى من أين تؤتي المكارم

(وثانيها) انهم ادعوا أن الدمع تبدلت بالدم وهذه الرتبة قريبة على ما يأتي بيانه في المقدمة الثانية ومن دعوى الدم فيه بدل الدموع قول ابي تمام الطائي من ابيات

وأنقذها من غمرة الموت أنه * صدود فراق لا صدود تعمد
وأجرى لها الإشفاق دمعاً موردا * من الدم يجرى فوق خد مورد

وفى قول مزاحم بن الحارث وكان في زمن جرير

فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا * تلاق وعيني بالدماء تمور
أيا سرعة الاخبار حين تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

ومن هنا انفتح باب تشبيه الدمع بالعقيق والمرجان والياقوت لمجرد الحمرة في لون الدمع فمنهم من شبه ومنهم من استعار ولما غلب استعمال الشعراء الدم في الدمع وتداولت الأسماع وروده عليها وألفت وقوعه فيها صارت

حقيقة عرفية عند الخاص والعام وصار هو الاصل والدمع فرعا عليه حتى ادعى الشاعر أن المحبوبة انكرت دمعه وطالبته بالحجة والعذر عن بياضه فقال

وقائلة ما بال دمعك أبيضاً * فقلت لها ياعلو هذا الذى بقى
ألم تعلمى أن البكا طال عمره * فشابت دموعى مثلما شاب مفرقي

وهذا مشهور وهو حسن ولكن لي عليه ايراد يذهب حسنه ويبقى له عذوبته وانسجام تركيبه فقط وهى ان بقية الشيء هي من جنس ماتقدمها واذا كانت البقية بيضاء دلت على أن الذى نفد منها كان أبيض فعلى هذا ماخرج عن عهدة مطالبتها له بالعذر عن بياضه فان قلت هذا يفهم من قوله شابت فدل على أنها انقلبت من اللون الاول الى لون المشيب وهو البياض قلت لم يقل أنه كان أحمر قبل هذا ولا في البيتين مايدل على شيء من هذا بل قال هذا الذى بقى وهذا يصلح أن يكون جواباً لها إذا قالت أن دمعك قليل ألا ترى أن الآخر قال

قالوا ودمعي قد صفا لفراقهم * إنا عهدنا منك دمعاً أحمرا
فأجبتهم إن الصبابة عمرت * فيكم وشاب الدمع لما عمرا

فاحترز بذكر الحمرة خوفاً من مثل هذا الايراد عليه وإنما الذي هو أحسن من هذا عندى وأكمل وأبدع لما فيه من زيادة التورية قول بعضهم

تعجبوا من أدمعي اذ غدت * بيضا وكانت من دم قان
لاتعجبوا طرفي رب الهوى * فكل يوم هو في شان

وقد توسع الشعراء في وصف الدمع بالحمرة الى أن نقلوه الى غيرها

مجازاً لما سمعوا قول القائل

وقائلة مابال دمعك أحمرا * فقلت لها يامنتهى كل مَنيق
نحرت لضيف الطيف فى جفني الكرى * فهادمه جار على نحر وجنق

وقال بعضهم فى الدمع الأسود

وقائلة مابال دمعك أسودا * وجسمك مصفر وأنت نحيل
فقلت لها أفنى جفاك مدامعى * وهذا سواد المقلتين يسيل

وهذا المعنى مليح ولكن الشعر منحط فكأنه عروس جليت في ثياب حداد وقال آخر في الدمع الاخضر

وقائلة مابال دمعك أخضرا * فقلت لها هل تفهمين إشارتي
ألم تعلمي أن الدموع تجففت * فأجريتها ياعنتي من مرارتي

وهذا المقطوع ركيك وانما الاستطراد اضطرني الى ذلك ولقائله عذر واضح لكونه دفع الى مضيق هذا الجواب وكنت قد كلفت انظم شيء في الدمع الاخضر فاتفق لي هذا المعنى فنظمته وهو

يقول عذولى مالدمعك أخضرا * جرى في هوى ظبي علا في نفاره
فقلت صفا دمعى وقابلت صدغه * فأبصرت فيه لون آس عذاره

وتبرعت بالنظم في الدمع الاصفر فقلت

وقائلة مابال دمعك أصفرا * فقلت لها ماحال عن أصل مائه
ولكن خدي اصفر من سقم الهوي * فسال به والماء لون إنائه

وقلت فيه أيضاً

لاتنكروا من أدمعي صفرة * يبصرها الناظر عند الهموع
وإنما تجرى على ناحل * واللون للوجنة لا للدموع

وقلت أيضاً

قال حبي على م تبكي بدمع * أصفرٍ هكذا تفيض الأماقى
قلت إن الدموع تألف خدي * فلهذا تصفر خوف الفراق

فقيل لى لم يبق الا الدمع الازرق فقلت

قالت وقد نظرت لزرقة أدمعى * أكذا يكون بكاء صب شيّق
فأجبتها قد مات في جفني الكرى * فجرت دموعي في الحداد الأزرق

و(تاسعها) أن الدموع قرّحت ماقيهم وجرحت أجفانهم وخدّدت خدودهم وهذه الرتبة أيضاً داخلة في حيز الأمكان على مايظهر تقريره في المقدمة الثانية ومن هذه الرتبة قول العباس بن الاحنف

لقد هد الهوى بدني وأضنى * فؤادى الهم من طول اشتياقى
بكيت غداة بنتِ بدمع عين * له قرحت جفوني والمآقى

وقول مسلم بن الوليد

اذا مابنات النفس همت بسلوة * تعرض وهنا طيف أروى فشاقها
وما زلت أبكى العين في رسم منزل * بدومة حتى قرح الجفن ماقها

و(عاشرها) أن العين ذهبت منه ولم يبق لها أثر كقول الباخرزى

عجبت من دمعتي وعيني * من قبل بين وبعد بين
قد كان عيني بغير دمع * فصار دمعى بغير عين

ولبعضهم في المعنى

أبكي وتبكي الحمام لكن * شتان مابينها وبيني
تبكى بعين بغير دمع * ولى دموع بغير عين

ويحصل إذهاب السواد كما أخبر الله تعالى عن يعقوب عليه السلام

في الآية الكريمة فقال عز من قائل (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) ثم قال تعالى (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً) وهذا في حق الانبياء صلوات الله عليهم معجز لأن المعجز عبارة عن أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة وقدرد النبي صلى الله عليه وسلم عين قتادة رضى الله عنه حين ذهبت حتى كانت أحسن عينيه وأبرأ المسيح صلوات الله عليه الاعمى • وبقية الآيات من الأمور الخارقة للعادة وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فقال مقاتل لم يبصر بهما سنين حتى كشف الله عنه ذلك بقميص يوسف عليه السلام والقائلون بهذا التأويل قالوا الحزن الدائم يوجب البكاء الدائم وهو يوجب العمي لان البكاء الدائم يحدث كدورة في سواد العين ومنهم من قال أنه ماعمي ولكن صار بحيث يدرك إدراكا ضعيفاً وقيل انه ماجفت عيناه عليه السلام من حين فراقه الى حين لقائه وتلك المدة ثمانون عاما ومنهم من ذهب الى أن بصره ابيض برؤية الدمع فيه لانه اذا غلب البكا على البصر كثر الدمع فتصير العين بيضاء بالماء الذى فيهاقلت قد رجح الامام فخر الدين هذا التأويل وحسنه ولكنه منقوض بما يأتي بعد ذلك من قوله تعالى فارتد بصيرا وهو دليل على أنه كان قد عمي • وروي أن يوسف عليه السلام قال لجبريل عليه السلام « هل لك علم بيعقوب » قال « نعم » قال وكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد ومات فقال فهل له في ذلك من أجر قال أجر مائة شهيد ومن كانت هذه حاله حق له العمى قال شاعر من الحماسة

إستبق دمعك لابودي البكاء به * وا كففـ مدامع من عينيك تستبق
ليس الشؤون وان جادت بباقية * ولا الجفون على هذا ولا الحدق
فان قلت قول شاعر الحماسة
وقفت كأنى من وراء زجاجـة * الي الدار من فرط الصبابة أنظر
فعيناي طورا يغرقان من البكا * فأعشى وطورا يحسران فأبصر
يؤيد ما استحسنه الامام ورجحه لانه قال اذا نظرت الي الدار ودموع العين باهتة فيها غشيت وكنت كأنى أنظر من خلف زجاجة شبه الدمع بالزجاجة على عينيه فلا ترى شيئاً واذا انحسرت الدموع عن العين أبصر • قلت اذا انحـدر الدمع في العين اما خوف رقيب يحبسه واما ان يكون البكاء تصنعاً كمن يعصر شؤونه ليبّا كى فانه يقل إبصاره ويكون أعشى ضعيف البصر وقد قرئ « وجاؤا أباهم عشاء يبكون » بضم العين جمع أعشى لانهم تصنعوا في البكاء وتكلفوا اذ لا حزن عندهم لانهم بلغوا قصدهم بابعاد يوسف عن أبيهم وشتان ما بين بكائهم وبكاء ابيهـم وما النائحة بكراها مثل الحزينة لقلبها • وفي قوله تعالى فارتد بصيرا تنبيه على انه كان قد عمي لانه ارتد على حالة كان على خـلافها والابصـار يخالف العمي وينضم الى هذا ما ذهب اليه بعض المفسرين من انه عمي مدة ثماني سـنين وتهويل الآية وسياق نظمها يدل علي العمي وقول يوسف عليه السلام (إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) دليل على انه علم بعماه لانه أول ما بادر الى زوال ما هو عنده عظيم وهو العمي وأما انه سير قميصـه ليتحدر الدمع من ابيه وينسفح فهذا بعيد من الذهن اذ ليس هو بكبير أمر ولا مهم والله أعلم بالصواب

(وحادي عشرها) ان الدموع نفدت ولم يبق الا ما يذوب من النفس فيتصعد من التراقي ويحدر من الآماق كقول الحارثي

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري * بي الضر إلا أنني اتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها * ولكنها نفس تذوب وتقطر

وهذه الرتبة بعيدة عن الامكان جداً بل هي من المستحيل وأما اذا أردنا أن نحمل هذا البيت على الامكان تأولنا له وقلنا إن النفس في اللغة كما هي عند الفقهاء ايضاً عبارة عن الدم قال السموأل

تسيل على حد الظباة نفوسنا * وليست على غير السيوف تسيل

وفي عبارة الفقهاء ماليس له نفس سائلة وسوف يردعليك في المقدمة الثانية مايقرب هذه الدعوى من الصدق في أن الدمع أصله الدم ولكن هذا التأويل يذهب ما في البيت من حسن المطابقة وأن الذي يجرى من الدمع انما هو ذوب النفس فلا يبقى في البيت موقع تام في القلوب (وثاني عشرها) ادعوا انهم من الانتصار على الحزن وانهم يستروحون بانفاقه ويستعينون به على ألم الهوى ودفع غلبة الجوى كقول الحسن ابن وهب

ابك فمن أيسر ما في البكا * ء أنه للوجد تسهيل
وهو إذا انت تأملته * حزن على الخدين محلول

وقول كثير عزة

وقالوا تأمّلت فاختر من الصبر والبكا * فقلت البكا أشفي إذاً لغليلي

(وروى) عن سالم راوى عاصم المقري رضي الله عنه انه قال لما كنت شابا اصابتني مصيبة تجلدت لها ودفعت البكا بالصبر فكان ذلك

يؤذيني ويؤلمني حتى رأيت اعرابيا بالكناسة وهو واقف على بعير ينشد ويقول

خليليّ عوجا من صدور الرواحل * بمهجور حزوى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى نجيّ البلابل

فسألت عنه فقيل هو ذو الرمة فأصابني بعد ذلك مصائب فكنت ابكي فأجد لذلك راحة فقلت قاتل الله الاعرابي فما كان أبصره . وهذه الرتبة صدقها معلوم ويأتى تقرير عليها والبرهان على صحة الدعوى فيها اذا مررت فى أثناء المقدمة الثانية

و(رابع عشرها) انهم استنجدوا بالاخوان واستنصروا عليه بالاعوان كقول ابن الدمينه

وما احدث البين المفرق بيننا * سلوّا ولا طول اجتماع تقاليا
خليلي إن لا تبكيا لى استعن * خليلا اذا أنزفت دمعاً بكى ليا

و(خامس عشرها) انهم ساعدوا غيرهم على البكا لما فضل عندهم عن القدر المحتاج اليه كقول جميل بن معمر العذرى

خليلي هل بالشام عين حزينة * فتبكى على نجد لعلى أعينها
قد ابتعد الباكون إلا حمامة * مطوقة قد غاب عنها قرينها
تجاوبها أخرى على خيرزانة * يكاد يدانيها من الارض لينها

و(سادس عشرها) انهم ادعوا بكاء المحبوب رحمة لهم كقول إسحق بن إبراهيم النديم

قامت تودعني والدمع يغلبها * فجمجمت بعض ماقالت ولم تبن
مالت علي تفديني وترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
فأعرضت ثم قالت وهي باكية * ياليت معرفتى إياك لم تكن

وقول ابن المعتز

قالت لأتراب خلون معاً * وبكت فبال دمعها النحرا
ياليتــه في مجلس معنــا * نشكو إليه النأي والهجرا

و(سابع عشرها) أن الحسود بكى على المحب رقة عليه لما حل به وأصابه كقول أبي نواس

لم يبــق الا نفس خافت * ومقلة انسانهـا باهت
يكي له الشامت ممـا به * ياويح من يرثي له الشامت

نعوذ بالله من حال تؤدي الى رحمة الحسود وبكاء الشامت • وقد أحببت ان أجمع في ذلك ما يكون لمن انظر فيه حديقة غضة الجنى • جامعة المنى • ساطعة السنى • يلذ قطافها • ويعذب نطافها • ويسوغ ارتشافها قد تفتح فيها زهر النظم الغض • وسقط من البلاغة لؤلؤ الندى على ورقها وأرفض • وترقرق في غدران سطورها سلسال الفصاحــة • وروى الأدب المتمكن بأنفاسه النفاحة • ولعبت معانيها بلب ذي النظر السليم • لعب الهبات بمــال الكريم • أو السلافة بعقل النديم • وعبث بها أهل الآداب عبث الرقباء بزيارة الاحباب • والدهر المتأخر بحرمان المتقدم في الآداب • وأولع بروايتها أرباب النثر والآداب • ولوع ثغر الاقاحي بالابتسام • ودمع النوادي بالانسجام • وأغري بنقلها المتأدبون • إغراء النسيم بميل أعطاف الغصون • والدموع باذاعة السر المصون • ولم أودع هذا التأليف من الابيات الا ما كان لطيف المعنى • محكم المبــنى • قد انسجم لفظه وعذب تركيبه ولذ في السمع وقعه • وارتشفت النفس مدامه • وفض الاختباز ختامه •

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسناً ويعبده القرطاس والقلم

ولم أكن في ذلك حاطب ليل بل قاطف نهار لان الابيات في ذلك كثيرة الى الغاية في الدواوين والمجاميع وأقوال الرواة لا يسعها فضاء الاحصاء ولا ينتهي اليها غاية الاعداد وان شككت

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

وأي نحر للاقط ، يتناول كل ساقط ، وأى فضل لمتخير . يأتي بغير نير . وكم من بيت اذا اخذ الاذن على اذن السامع يجرعه ولا يكاد يسيغه وكم من معني اذا حاوله ناظمه لم يتأت له كيف يصوغه

ميلوا الى سهل الكلام فانه * من خاف مال الى الطريق الأوعر

بل الذى يجمع ويختار يحتاج الى لطف ذوق وصحة تمييز قبل العلم بالادب ومعرفة البيان والمعاني والبديع ورواية الشعر عن دواوين الشعراء . ومجاميع الادباء . وتواليف البلغاء . ليكون مايختاره يرشفه جريالا . ويعده سحراً حلالا . ويكون إذا أورده يرف عليه ريحان القلوب وبدوراً تلفتت إليها القلوب . اذا شارفت الغروب .

فما كل دار اقفرت دارة الحمى * ولا كل بيضاء الترائب زينب

ولطف هذا الذوق الذي أشير اليه ليس مما يكتسب من أفواه الرجال ولا مما يؤخذ عن الاستاذ ولا مما ينبه عليه كبار المعلمين لانه ما عند المعلم ما يقول غير أنه إذا كان النظم والنثر خاليا من الالفاظ الحشوية والكلمات الغريبة أو القريبة المخارج او الدالة على المعاني التي تنفر النفوس منها بريئاً من قلق التركيب غير محتاج الي تقدير ولا حذف ولا اضمار سالما من الضرورة في الاعراب ووزن العروض منسجم النظم متمكن

القوافي خفيفاً على القلب وروده سهلا على النفوس استخراج معناه كشعر البها زهير فانهم قالوا ما تعاتب الاحباب ولا تراسل الاصحاب بأرق من شعره وهو لرقته يظن بأنه سهل فاذا حاول شاعر أن يجاريه عثر في محاجر الامتناع

لانت معاطفه وعز وإنما * يشتد بأس الرمح حين يلين

وقد اعترف الاديب نور الدين على بن سعيد المغربي في أول كتابه الموسوم بالنراميات أنه لما وردمن المغرب ولازمه واخذ يحذ وحذوه إلى أن رق شعره ونعم لاريب ولا شك . أنه رق وكدت لتناسب السجع أن أقول رك • ولكن ما قارب بخلاف مهيار الديلمى وسيده الشريف الرضى فانه لما تأدب بآدابه وسلك طريقه قارب زائدا • وكاد نفساهما يكون واحدا وما للبها زهير عندى من المتقدمين الا العباس بن الاحنف وهيهات لطف الذوق من وراء هذا كله لانا نجد في الكلام ما عرى عن هذه الاشياء وليس له طلاوة غيره وتلك الطلاوة غير معقولة المعنى ولا معلومة السبب

وكم في الناس من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري

وأضرب لما ادعيته مثلا يؤيد الحجه • ويهدي الى المحجه • وهو قول جرير

إن العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتي لاحراك به * وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقول مسلم بن الوليد

نقاتل أبطال الوغى فنبيدهم * ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تفني نفوسنا * ولكن سهام فوّقت بالحواجب

وأين قول أبي الشيص

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنهم ولا متقدم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * إذ كان حظي منك حظي منهمو

أجد الملامة في هواك لذيذة * حباً لذكرك فليمني اللوّم

من قول وهب بن جابر الخزاعي المغربي

هدّدت بالسلطان فيك وإنما * أخشى صدودك لا من السلطان

أهوى الملامة في هواك ولو دري * أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وأين قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها * نوما أناخ بجفن العين يخفيها

بلهذم من هموم النفس صبغته * فليس ينفك يجري في مجاريها

من قول أبي الطيب

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم * فما يخطرن الا في فؤادي

وأين قول مهيار الديلمي

هل السائق العجلان يملك أمره * فما كل سير اليعملات وخيد

ترفق بأجفان المطيّ فانما * تداس جباه في الورى وخدود

من قول أبي العلاء المصري

رب لحد قد صار لحداً مراراً * ضاحك من تزاحم الاضداد

ودفين على بقايا دفين * في طويل الأزمان والآباد

خفف الوطء ما أظن أديم ال * أرض الا من هذه الاجساد

وأين قول القائل

ألا ليت شعري هل تذكرت عهدنا * وطيب ليالينا كما أنا ذاكر

وإني لأستدنيك بالفكر والمني * إلى مهجتي حتى كأنك حاضر

من قول أبي الوليد بن زيدون

أما في قلبي فأنت جميعه * ياليتني أصبحت بعض مناكا

يدني منك حين شطت بك النوى * وهم أكاد به أقبل فاكا

وأين قول مجير الدين بن تميم

بنده الازرق لما * شده من قد سباني

جدول فوق كثيب * دار يسقي غصن بان

من قول محيي الدين بن قرناص

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر والعقيق

خصره تحت أحمر البند يحكي * خنصراً فيه خاتم من عقيق

فهذه أمثلة ضربتها لك أيها الواقف على هذا التأليف وهي كل مقطوعين منها في معني واحد وليس في أحدهما مايمجه السمع ولا ينفر منه القلب ولابد أن يجد الذهن الصافي بينهما فرقا في اللطف يحكم به الذوق الصحيح ولم أراع فيها الترتيب حتي تحكم فيها بذهنك فتعرف الحسن منها والاحسن بذوقك • ولكن

وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم * فنمّ عليهم فى الظلام التبسم

وأضرب لك مثالا يقرب لك معرفة النظم المنسجم العذب الرقيق من النظم المجرف القلق وهو قول المتنبي

وكذا اُسم أغطية الجفون عيونها * من أنها عمل السيوف عوامل

أخذه محمد سبط التعاويذى فقال

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد اجفان

فانت ترى عجرفة بيت المتنبي في قوله أغطية العيون جفونها وقلق تركيبه في قوله عمل السيوف عوامل إن لم يكن للسامع دربة ودقة نظر وفكر في المعاني لم يقدر يتصرف في إعرابه فينصب عمل على أنها مفعول اسم الفاعلين لان عوامل جمع عاملة وعاملة صيغة اسم فاعل وكان التقدير من أنها عوامل عمل السيوف فاحتاج الي تقديم وتأخير فأوقع الفاعل في رتبته وأخره وقدم المفعول وأتى بعد اسم أن فالبس على السامع حتي توهم أنه خبر لان ففسد المعني ولم يستقم الا بالتقديم والتأخير مع مافي قوله أغطية الجفون من العجرفة والعامية وهذا الجمع مفرده أعذب من جمعه في القلة لان قول أبي تمام

سلبنا غطاء الحسن من حر أوجه * تظل لنفس السالبيها سوالبا

عذب في السمع لذيذ وترى انسجام قول التعاويذي لما أخذه من المتنبي كيف جاء به حديدا وأعاده ذهبا فيصدق فيه قول الحريرى

آخذ اللفظ فضة فإذا ما * صغته قيل انه ذهب

وقول أبي الطيب

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لأغرته بعذابه

أخذه محمد بن الخياط الدمشقي فقال

أغار إذا آنست في الحى أنه * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

فانظر الى قلق الاول وسهولة الثاني كيف تناوله من النضارة عريا ورده زهرا جنيا وقول بشار بن برد

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
اخذه تلميذه سلم الخاسر فقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فتأمل الى سلم كيف تسلمه ذباله واعاده قرهاله لانه اعذب وقعا واسلس طبعا مع أنه نقص من الاول تسعة احرف وعكس هذا قول عامر بن شهيد من ابيات

وتكادست فيها الاباريق وهي قاذفة الحلاقم
وكأنها عصب وعفن فترن دامية الخياشم

أخذه من قول ابى إسحق الصابي

عروس كرم صفت وطابت * لونا وطعما فما تعاف
كأن إبريقها لديهم * ناكس رأس به رعاف

وإن كان الصابي أخذه من ابن المعتز فانه قال

ينذى لثام الابريق من يدها * كأنه راعف وما رعفا

أخذه ابن شهيد حق در فأعاده صر بعر (وأزيدك بياناً آخر) وهو أن الشاعر نفسه تعلو وتسفل في الابيات القليلة أو القصيدة كابي الطيب المتنبي فان جيده في الاوج ورديه في الحضيض والقاضى الفاضل لايشبه جيده شيء من كلام مترسل وإن كان رديئه لايحط كثيراً إلا أن جيده قلد جيد الزمان* وامتاز به عن الاقران* وقل من تجد كلامه يخرط في سلك واحد إذا أجاد فاذا ظفرت به فذلك الفذ الذي يعد من الافراد وأبو عبادة البحترى ممن لايعلو ولا يسفل بل هو نموذج واحد فكان كلامه من البسائط التي جزؤها يشبه كلها

من تلق منهم لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وابن التعاويذى ممن يدخل هذه الدائرة كأن شعره قد أفرغ في قالب واحد وابن حيوس أيضاً من هذا القبيل وكذلك ابن الخياط الدمشقي وابن النبيه وابن الفارض ممن ينخرط في هذا السلك وأما فحول الشعراء فان كلامهم يعلو إلى الثريا وربما تسفل الى الثري كأبي نواس وأبي تمام وأبي الطيب وابن المعتز وأضرابهم على أنى لاأدعى الاحاطة بالجيد من هذا النوع الذى قصدت جمعه وحاولت وضعه بل ولا بعشر معشار من الآلاف المتعددة

إن فى الموج للغريق لعذراً * واضحاً أن يفوته تعداد

لانه مامن شاعر على عدم الاحاطة بعدتهم الا وقد تغزل أو رثي أو شكي أو تعتب وهو فى هذه الاحوال لايخلو من ذكر الدمع ووصفه ولكن سددت وقاربت وأتيت بما أمكن وأثبت الاحسن فالاحسن ورتبت هذا التأليف على مقدمتين ونتيجة هي الغرض الاقصى من هذا الكتاب (أما المقدمة الاولى) فاذكر فيها مايتعلق بالدمع من اللغة وذكر مايرادفه وبيان أسماء العين وماتشتمل عليه من الجزئيات . (وأما المقدمة الثانية) فأبدأ فيها بذكر سببه نقلا وما ورد فى ذلك من الاحاديث وذكر سببه عقلا ومن هذه المقدمة يتضح لك أسباب كثيرة داخلة في الامكان من دعاوي الشعراء في المدح . و(اما النتيجة) فانها تشتمل على سبعة وثلاثين بابا (الاول) في أوان البكا (الثاني) في وجود الراحة فيه (الثالث) في حيرته في الجفون خوف الرقباء (الرابع) أنه شاهد الحب (الخامس) فى أنه غسل العين (السابع) فى أنه نار وشرار (الثامن)

في أنه حجب الناظر (التاسع) في أنه دم (العاشر) في أنه عقيق أو مرجان (الحادي عشر) في الاعتذار لبياضه (الثاني عشر) في أنه نجوم (الثالث عشر) في أنه لؤلؤ (الرابع عشر في أنه زهر (الخامس عشر) في ادعاء شربه (السادس عشر) في أنه ملح أجاج (السابع عشر) في جريته في الخدود وترقرقه (الثامن عشر) في مباكاة الغمام والحمام (التاسع عشر) في سقيا الديار والمنازل (العشرون) في كثرته وَجُود العين به (الحادي والعشرون) في أنه كالمطر (الثاني والعشرون) في أنه كالنهر (الثالث والعشرون) في أنه كالبحر (الرابع والعشرون) في أنه قرح الجفون وخدّد الخدود (الخامس والعشرون) في أنه أذهب العين (السادس والعشرون) في أنه ذوب النفس (السابع والعشرون) في طلبه من الرفاق وعاريته للمشاق (الثامن والعشرون) في عدمه وجفافه (التاسع والعشرون) في الاعتذار عن البكاء (الثلاثون) في الافتخار به (الحادي والثلاثون) في الضحك بدلا عن البكاء (الثاني والثلاثون) في البكاء بدلا عن الضحك (الثالث والثلاثون) في أنه تبسم (الرابع والثلاثون) في بكاء المحبوب (الخامس والثلاثون) في بكاء العدو وغيره رحمة (السادس والثلاثون) في مفردات تتعلق به (السابع والثلاثون) في استعارة البكا لعين الانسان

المقدمة الاولى

فيما يتعلق بالدمع من اللغة وذكر ما يرادفه وبيان أسماء العين وما تشتمل عليه من الجزئيات

(الدمع) ماء تقذفه العين من الرطوبة عند مايحصل للقلب رقة إما من خوف أو رجفة أو استغراق في الضحك أو عقيب التثاؤب وغير ذلك • وجمعه دموع في الكثرة وأدمع فى القلة مثل فلس وفلوس وأفلس ونفس ونفوس وأنفس و (المدامع) جمع مدمع وهو مجرى الدمع نفسه مثل مركب ومراكب اسم لموضع الركوب ومجمع ومجامع اسم لموضع الجمع و (الغرب) مجرى الدمع ويجمع على غروب وللعين غربان مقدمها ومؤخرها قال الأصمعي يقال بعينه غروب إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها والغروب فى الدموع مجازاً قال الشاعر

مالك لاتذكر أم عمرو * إلا بعينيك غروب تجرى

و (الشأن) واحد الشؤون وهي مواصل قبائل الرأس وملتقاها ومنها تجرى الدموع قال ابن السكيت الشأنان عرقان منحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين و (العبرة) الدمع نفسه وتجمع على عبرات يقال منهااستعبر اذا بكي وتقول عبر الرجل يعبر عبرا فهو عابر والمرأة عابر أيضاً • وعبرت عينه واستعبرت اذا انحلت دمعها والعبران الباكي والعبر بالتحريك سخنة فى العين يبكيها والعبر بالضم مثله * ورأى فلان عبر عينه أى مايسخن عينه وما أحسن ماكتب به ابن حكينا البغدادى الى ابن التلميذ الطبيب وقد مرض بأن يعبر اليه دجلة ليداويه

إن امرء القيس الذى * هام بذات المحمل

كان شفاه عبرة * وعبرة تصلح لي

يريد قول امرئ القيس

وإن شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معوّل

فنقل ابن حكينا العبرة من كلام امرىء القيس من الدمع الى العبرة في كلامه وهي التعدية في الدجله • وذكرت ههنا قول السراج الوراق

منزلي في ذلك البـــر وفي ذا البر زادى
والذى عدّى تهدّى * بخــلافي للمــراد
فتخلفــت وخـــــلفت غريباً في بلادي
ولتفـــريطى ما * أبقيت شيئاًللمعادى

ورّى بالمعــادى وهو يوم القيامة عن المعادى بأثبات الياء جمع تعدية و (البكا) يمد ويقصر فاذا مددت أردت الصوت الذى يكون مع البكا واذا قصرت أردت الدمع وبخروجهما قال الشاعر

بكت عيني وحق لها بكاها * وما يغنى البكاء ولا العويل

وبكيته وبكيت عليه بمعني قال الاصمعي بكيت الرجل بالتخفيف وبكيته بالتشديد كلاهما اذا بكيت عليه وأبو زيد مثــله وأ بكيته إذا صنعت به ما يبكيه وبا كيته فبكيت أي كنت أبكي معه قال الشاعر

الشمس طالعة ليست بكاســفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

واختلف أرباب الادب في معني هذا البيت فقيل معناه أن الشمس طالعة ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر تبكي عليك وعلى هذا التقدير يستقيم معنى البيت وقيل غــير ذلك واستبكيته وأ بكيته بمعنى وتبا كى تكلف البكا والبكى بكسر الكاف الكثير البكا على وزن فعيل والبكى على وزن فعول جمع باك مثل جالس وجلوس الا أنهم قلبوا الواو ياء • قال الله تعالى (خروا سجداً وبكيا) ولا يكون بكياً مصدرا بل هو جمع باك لانه معطوف على سجداً جمع ساجد

﴿ فصل ﴾

(فى ترتيب البكا)

إذا تهيأ الرجل للبكا قيل أجهش . قال أبو زيد والأصمعي أشحن بالشين المعجمه والحاء المهملة بمعناه . وزاد أبو زيد جهش للحزن والشوق وقال الأصمعي أهنف الصبي إهنافاً مثل الإجهاش . وقال الكسائي نخم الصبي نخم نخوما ونخاما إذا بكى حتى ينقطع صوته . ونخم بكسر الخاء لغة فان امتلأت عين الانسان دموعا قيل إغرورقت عيناه فاذا كادت تسيل قيل ترقرقت فاذا سال قيل دمعت بكسر الميم وقال الكسائي وأبو زيد دمعت بالفتح لاغيره وهمت تهمي فاذا كان للبكا صوت قيل نحب وانتحب ونشج من النشيج والنحيب فاذا صاح مع بكائه قيل أعول ويقال همعت تهمع . وعسقت تعسق بكسر السين عسقا مثله

﴿ فصل ﴾

(في تقسيم الماء من أماكنه)

من السحاب سح . ومن الينبوع نبع . ومن الحجر انبجس . ومن النهر فاض . ومن السقف وكف . ومن القربة سرب . ومن الأناء رشح . ومن العين انسكب . ومن المذاكير نطف . ومن الجرح ثغ . وقد يتجاوز في كل ذلك ويستعمل في الدمع ويقال رشح وانسفح وهطل وهمل وهمى وهمع ووكف وذرف وقطر وانهمر وجرى وسال وانبجس وصاب وهتن واسبل واستهل وفاض وانسرب وانسكب وانسجم وتحلب وتدفق وازنق

فصل

في مايرادف لفظ العين مجازاً

عين وجمع الكثرة عيون وجمع القلة أعين • ومقلة وجمعها مُقَل وحدقة وجمعها حَدَق وأحداق وناظر وجمعها نواظر • وطرف

فصل

المقلة شحمة العين وهي التي تجمع السواد والبياض • والحدقة السواد الاعظم والناظر هو السواد الاصغر • والانسان يكون في الناظر كالمرآة اذا استقبلتها رأيت شخصك والعامة تسميه النونو أو النني وقال أبو الطيب

جارية طالما خلوت بها   تبصر في ناظري محياها

يصف إفراط قربه منها فان قلت لاي شيء قال تبصر في ناظرى محياها وما عكس اذ هذا يدل على انها مشغوفة مشتغلة به مولعة بادامة النظر اليه وهو يخالف قوله فيما بعد

تبل خدي كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

وأول القصيدة كله شكوي وتأوه والعادة جارية أيضاً بوصف المحبوب بالاعراض ووصف المحب بالاشتغال به وبادامة النظر اليه قلت الجواب من وجهين أحدهما وهو إقناعي أن القافيـة لايليق بها إلا ذلك فلو عكس لم يوافق وقد جاء في القرآن الكريم مراعاة رؤوس الآي مثل رب موسي وهارون ورب هارون وموسى وثانيها أنه يرى وجهه في سائر وجوهها لصقاله وشفوفه والمحب لم تجر العادة بوصفه أن وجهه شفاف

فيه صقال تجلو مايقابله فلم يكن فيه شيء بهذه الصفة غير إنسانه وهـذا السؤال والجواب لم يظهرا إلا عند تعليق هذا الفصل والانسان هو الذى فيـه الحركة وإذا مات الانسان بطلت هاتيك الحركة التى تكون فيه • قال شرف الدين شيخ الشيوخ

عاتبت إنسان عيني في تسرعه * فقال لي خلق الانسان من عجل

وذنابة العين مؤخرها • واللحظ طرف العين مما يلي الصدغ والموق طرف العين مما يلي الأنف • والحملاق باطن جفن العين الذى ينبت عليه الشعر • والحجاج العظم المشرف على العين

﴿ فصل ﴾

في محاسن العين

الدعج أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة • البرج شدة سوادها وشدة بياضها • النجل شدة سعتها • الكحل سـواد جفونها من غير كحل • الحور شدة سواد العين مع شدة بياضها يقال احورت عينه احوراراً واحور الشيء ابيض . قال الاصمعى ماأدرى الحور في العين • وقال أبو عمرو الحور أن تسود العين كلها مثـل أعـين الظبي والبقر قال وليس فى بني آدم حَوَر وانمـا قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن بالظبي والبقر • والوطف فى العين طول أشفارها وتمامـه • وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في أشفاره وطف • والشهلة حمرة فى سوادها • وتلويز العين اذا كانت فى شكل

اللوزة ، فهذه صفات الحسن عند أرباب المحبة والمتغزلين • وأما الحكماء فقالوا في العين التي تحمد فراستها أن تكون متوسطة الحجم سا كنة في تركيبها رقة في نظرها لم تتفرق أشفارها ولم تضق ولم يضعف إنسانها وتكون صافية من الكدورة نقية من النقط لينة في بريقها كامنة العروقات معتدلة في الطرف بالجفن تجلي بخالطها السرور والمهابة بياضها نقي وسوادها كذلك ولا صغيرة ولا عظيمة ولا غائرة ولا جاحظة ولا شاخصة كالجامدة ولا سريعة التقلب كحركة الزئبق ولا ناتئة الحدقة ولا صغيرتها ولا كبيرتها ولا واسعتها ولا مختلفة الوضع في البياض والسواد وتكون رطبة في المنظر من غير ضعف ولا علة شهلا خفيفة الشهولة ملوزة الوضع وقلما تجتمع هذه الصفات في عين

﴿ فصل ﴾

(في معائب العين)

الحوص ضيق العين • والحوص غورها مع الضيق • والشتر انقلاب الجفن • والعمش أن لا تزال العين تسيل وترمص • والجهر أن لا تبصر نهاراً • والعشي أن لا تبصر ليلاً • الحزر أن لا تنظر بمؤخرها • الغضن أن تكسر في النظر حتي تتغضن جفونها • القبل أن تكون كأنها تنظر الى الانف وهو أهون من الحول • والحول في الشخص أن تراه كأنه ينظر اليك وهو ينظر الي آخر • الشوس أن ينظر باحدى عينيه ويميل وجهه في شق العين التي ينظر بها • الخفش صغر العين مع ضعف البصر • والجحوظ خروج المقلة وظهورها من الحجاج • النحق أن

يذهب البصر والعين منفتحة • والكمه أن يولد الانسان أعمى • والسمادير ضعف البصر وقد اسمدرّ ويقال هو الشيء الذى يتراءى للانسان مع ضعف بصره عند السكر من الشراب وغيره • والقدع بتحريك الدال مفتوحة ضعف البصر من إدمانه فى النظر الى الشيء • والاسجاد إدامة النظر مع السكون

المقدمة الثانية

(في سبب البكا عقلا ونقلا)

أما العقل فهو ما أخبرنا به الشيخ السند الصالح شمس الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمود بن جامع البندنيجي قراءة عليه وأنا بدمشق قال أنبأنا أبو العباس أحمد بن عمر بن عبد الكريم البادنيني قراءة عليه ببغداد وأنا أسمع قال أنبأنا المؤيد بن محمد بن علي الطوسى قال أنبأنا محمد بن الفضل الفزاري قال أنبأنا الحسين بن عبد الغافر بن محمد ابن شعبان الفارسى أنبأنا أبو أحمد بن محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودى أنبأنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا أبو الحسن سالم ابن الحجاج النيسابورى القشيرى أنبأنا أبو كامل الجحدرى حدثنا حماد يعنى ابن زيد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أسامة ابن زيد قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً أو ابناً لها في الموت فقال للرسول أرجع اليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمي فرها فلتصبر ولتحتسب فعاد الرسول فقال إنها أقسمت لتأتينها قال

فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وانطلقت معهم فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة ففاضت عيناه فقال له سعد ماهذا يارسول الله فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء (وقال أنس) دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئراً لابراهيم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان • فقال ابن عوف وأنت يارسول الله فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع وما نقول الا مايرضى الرب إنا لفراقك ياابراهيم لمحزونون • أخرجه البخاري وأبوداود • وقال أبوهريرة رضى الله عنه مات ميت من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن ياعمر فان العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب • أخرجه النسائي • وقالت عمرة سمعت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها فقال إنه ليبكى عليها وأنها لتعذب في قبرها • أخرجه البخارى ومسلم ومالك في الموطأ والترمذى والنسائى (قوله) صلى الله عليه وسلم إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه وما أشبهه قال الشيخ محي الدين رحمه الله اختلف العلماء في هذه الاحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه وبناح بعد موته فنفذت وصيته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لانه بسببه

ومنسوب إليه • فأما من بكى أهله عليه وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقالت طائفة هو محمول على من أوصى بالبكاء والنوح ولم يعرض بتركهما فمن أوصى بتركهما أو أهمل الوصية فلا يعذب بهما اذ لاصنع له فيهما ولا تفريط منه * وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بتركهما * وقالت طائفة معنى الاحاديث أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبونه بتعديد شمائله ومحاسنه بزعمهم وتلك الشمائل قبائح في الشرع يعذب بها كما كانوا يقولون يامرمل النسوان يامؤتم الولدان يامخرب العمران ونحو ذلك مما يرونه شجاعة ونخرا وهو حرام شرعا • وقالت طائفة أنه يعذب ببكاء أهله ويرق لهم والى هذا ذهب محمد بن جرير الطبرى وغيره • قال القاضى عياض وهو أولى الاقوال • واحتجوا بحديث فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر امرأة عن البكاء على أبيها وقال إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه فياعباد الله لاتعذبوا اخوانكم • وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم أن المراد بالبكاء هو البكاء بصوت ونياحة لا بمجرد الدمع • قلت وقال ابن حزم رحمه الله تعالى الصبر واجب والبكا مباح مالم يكن نوح فان النوح حرام والصياح وخمش الوجوه وضربها وضرب الصدور ونتف الشعر وحلقه للميت كل ذلك حرام • وكذلك الكلام المكروه الذي يسخط لأقدار الله تعالي وشق الثياب ثم ساق حديث ابراهيم وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال وهذا إباحة للحزن الذى لايقدر أحد على دفعه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها • ثم ذكر حديث عبدالله ابن عمر قال اشتكى سعد بن أبي عبادة فعاده النبي صلى الله عليه وسلم

مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود فلما دخل عليه وجده في غشية فبكي النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما رأي القوم بكاء النبي بكوا فقال ألا تسمعون أن الله لايعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب الله بهذا أو يرحم وأشار الى لسانه وان الميت يعذب ببكاء أهله عليه قال هذا الخبر بتمامه مبين معنى ماذهل فيه كثير من الناس من قوله صلي الله عليه وسلم إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ولاح بهذا أن البكاء الذى يعذب به الميت ليس هو الذي لايعذب به من دمع العين وحزن القلب

﴿فصل﴾

قال أبو أحمد بن عدي أنبأنا ابراهيم بن محمدبن يوسف بن موسى أنبأنا الوليد بن بكر السعدي حدثنا عبدالله بن عثمان بن سيف المقرى أنبأنا زيد بن علي بن جدعان عن ابن المسيب عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ماعلامة المنافق قلنا الله ورسوله أعلم قال الذى يبكي بإحدى عينيه قال أبوأحمد هذا حديث غريب وإسناده مظلم فيه ثلاثة مجاهيل لانعرف أحوالهم قلت قد رأيت وأنا بصفد من يبكي باحدى عينيه ثم يقول لها قفي فيقف دمعها ويقول للأخرى أبكى فيجري دمعها ولكن ماعلمت اسمه . ورأيت بمصر إنساناً يحب آخر يقال له أحمد يعرفهما جماعة من أصحابنا فاذا قال له محبوبه أبك يبكيك واذا قال وهو في وسط البكا أضحك جمد دمعه وضحك . ورأيت برحبة مالك بن طوق إنساناً يعرف بالشيخ حيدر يعرفه جماعة بدمشق يبكي باحدى عينيه وسوف يأتي تعليل هذافيالسبب العقلى بعد هذا الفصل

قلت قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) قال المفسرون أخبر الله تعالى أن الانبياء إذا سمعوا آيات الله تعالى سجدوا وبكوا خشية الله تعالى وهكذا ينبغي أن يكون من تخلق بأخلاقهم فاستن بسنتهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ سورة مريم فسجدوا قال هذا السجود فأين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتم سورة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتي تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أغرورقت عين بماء من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النار وعن أبى هريرة رضي الله عنه لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى وقال وهب سجد آدم على جبل الهند مائة عام يبكى حتى جرت دموعه في وادي سرنديب فنبت من دمعه الدارصيني والقرنفل وجعل طير ذلك الوادى الطواويس ثم جاء جبريل فقال ارفع رأسك فقد غفر لك فرفع رأسه ثم أتى البيت فأطاف أسبوعا فما أتمه حتي خاض فى دموعه قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى فى كتاب اللطائف كان يحيى بن زكريا عليهما السلام يبكي حتى رق دمعه وبدت أضراسه • وقد عاش سليمان يبكى من مرض الذنوب فيا عجباً من بكائه ومأتم مأتم فكيف بمن لا ينقضى يوم الا وفيه لهم مأتم ومأتم • وقال عليه الصلاة والسلام عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله تعالى وعين باتت تحرس في سبيل الله وقال لو بكى عبد من خشية الله تعالى لرحم من حوله ولو كانوا عشرين ألفاً وقال يزيد الرقاشى بلغنى أنه من بكى على ذنب نسي حافظاه ذلك الذنب • وكان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصلى يبكيان الدم • وكان

الفضل قد أنف البكاء حتى صار يبكي في النوم وقال الحسن بن عرفة رأيت يزيد بن هارون من أحسن الناس عينين ثم رأيته مكفوفاً فقلت مافعلت العينان الجميلتان فقال ذهب بهما بكاء الاسحار • وقال أبو عمر الجوني أرتني أمي موضعاً في البيت قد انحفر فقالت هذا موضع دم أبيك حين كان يبكي وقيل إن الخنساء لم تزل تبكي على أخويها صخر ومعاوية حتى أدركت الاسلام فأقبل بها بنو عمها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهي عجوز كبيرة فقالوا يا أمير المؤمنين هذه الخنساء قد قرحت مآقيها من البكاء في الجاهلية والاسلام فلو نهيتها لرجونا أن تنتهي فقال لها عمر اتقى الله تعالى وأيقني بالموت فقالت إنما أبكي ا إني لموقنة بالموت فقال عمر رضى الله عنه أتبكين على من صاروا جمرة في النار قالت ذاك أشد لبكائي عليهم فكأن عمر رق لها فقال خلوا عجوزكم لا أبالكم وكل امرئ يبكي شجوه ونام الخلي عن بكاء الشجي

قال محب الدين بن النجار في ذيل تاريخ بغداد في ترجمة أحمد بن المختار أمير البطيحة وقد مات له ابن فبكى عليه إلى أن ذهبت إحدى عينيه ثم تلتها الاخرى فقال يشكو الزمان

كأنما آلي على نفسه * أن لا يرى شملا لاثنين
لم يكفه مانال من مهجتي * حتى أصاب العين بالعين

ولما خرج الحسين بن عليّ بن حسن بن حسن بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب رضى الله عنه بالمدينة زمن الهادى وتوجه الى مكة قالت له أخته فاطمة بنت عليّ لاأسأل الركبان عنك أبدا وخرجت معه فشهدت قتله وكانت تزور قبره وتلازمه وفي عنقها مصحف فتبكيه إلى أن عميت • حكي صاحب الاغاني عن الرقاشي قال صلى متمم بن نويرة

مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه وأنشد

نعم القتيل إذا الرماح تناوحت * تحت الازار قتلت يابن الازور

قال ثم بكى حتى سالت عينه ثم انحرط على قوسه متكئا ومغشيا عليه • وقال قيل لمتمم مابلغ من وجدك على أخيك قال أصبت باحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة فلما مات أخي استهلت فلم ترقأ وما أحسن قول ابن سناء الملك

بكيت بكلتا مقلتيّ كأنني * أتمم ماقد فات عند متمم

فلم يرطرفي قط شملا مبددا * فقابله إلا بدمع منظم

وحكي أيضا عن عمر بن شبة بن لبيد بن ربيعة العامري أنه قال لابنتيه لما احتضر

فان حان يوما أن يموت أبوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذى لاحليفه * أضاع ولا خان الصديق ولاغدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ولهذا قال أبو تمام الطائي

إن كان مسعود سقي أطلالهم * سيل الشؤون فلست من مسعود

ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم * ثم ارعويت فكان حكم لبيد

وأما السبب العقلي فهو أنه قد تبين في علم الطب كون مزاج الدماغ باردا رطبا وأن فيه من أصل الخلقة رطوبة فضلية وأنه يقبل بخارات البدن المتصاعدة منه وأنها تستحيل فيه لبرده ورطوبته إلى المائية كما في بخار الحمام وان هذه المائية انما تنفصل عن الدماغ بالدمع واللعاب والمخاط وان الدمع انما يحدر الي العين من الدماغ بواسطة العصب الاجوف الذى فيه الروح الباصر وان مستقر الدمع في الدماغ انما هو في الشؤون

لانها اعلى موضع في الدماغ وهذه الفضلة الطف هذه الفضول وارقها وتبين ايضا ان هـذه الفضلة انما تندفع بارادة طبيعية كاندفاع البول بخلاف بقية فضلاته فإنها طبيعية فقط ولذلك يمكن الانسان استدعاء الدمع بالبكاء بخلاف غيره وتبين ان اندفاع هذه الفضلة إنما هو بانعصار الشؤون وانما يعصرها أحد أمور ثلاثة إما تزاحم من خارج كضربة شـديدة على الراس وإما تمدد الدماغ واغشيته وإما مزاحمة الابخرة الصاعدة من البـدن وهو السبب الثالث الاكثري الوقوع فاذا امتلأ الدماغ بخاراً رطباً وانقبض انعصرت الشؤون واندفع مافيها الى العين فكان منه البكاء وانمـا يمتلئ الدماغ بخاراً بمـا يصعد اليـه من البدن لورود المؤدي على النفس أو البدن وانمـا ينقبض الدماغ عند ذلك للغم الذى يلزم القهر وعدم الانتصار والغلبة فيستروح الدماغ لخـلوه عن هذا المؤدى وكثيراً ما يكون فى الدماغ مواد مستعدة لان تصير دمعاً فعند مايحرك أدنى سبب من أسباب البكاء ويحصل يسير منـه بحسب سببه تستتبعه تلك المواد الكامنة لاتصالها بهذه المواد وما أحسن قول ابن درست

لولا مخافة عين الحاسد الشاني * لكان لي ولكم شأن من الشان

هرقتمو ماء عيني يوم فرقتكم * ما الشأن فى مائها للشأن والشان

ولمـا كان الغضب وهو طلب الانتقام يسخن المزاج بإفراط كان الدمع الحاصـل من البكاء حاراً • ولمـا كان السرور يبسط النفوس والارواح باعتدال لكنها ربمـا صادفت رطوبة مائية مستعدة للاندفاع بأدنى سبب فاندفعت بانبساط الارواح لافادة بخارية جـديدة فيحدث من ذلك فى النادر بكاء عند الضحك ويكون الدمع بارداً لعدم البخار

المسخن الحاصل من الغضب ولهذا قالوا للمدعو له اقر الله عينك أي جعل دمعها بارداً من فرط السرور وقالوا للمدعو عليه سخن الله عينك أي جعل دمعها حارًّا لفرط الغم وكثيراً ما يكون بين طبقات العين رطوبات فضلية محتبسة فاذا سخنت طبقات العين إما بدواء حار يرد عليها كالاكحال الحادة ونحوها وإما بملاقاة شمس حادة واما بورود بخار مسخن من الدماغ فتندفع تلك الرطوبات بالدمع من غير بكاء وانما يمكن لبعض الاشخاص ان يبكي باحدى عينيه دون الاخرى لاختلاف مزاج شقي الدماغ في ذلك الشخص لانه تبين في علم التشريح أن كل واحد من بطون الدماغ الثلاثة أعني المقدم المشتمل على الحس المشترك والخيال والبطن الاوسط المشتمل على الفكر والوهم والبطن المؤخر المشتمل على القوة الذاكرة منصفه في طولها وأن مزاج كل واحد من الشقين يخالف الآخر ولذلك تقع القوة فى احد شقي الوجه دون جميعه ولما كانت هذه الرطوبة المائية اعنى الدمع انما تحصل عن الطف البخارات فتشبه الماء القراح في لونه وقوامه واما في طعمه فلا • بل ربما مالت الى الاحتراق فكانت مالحة وقد تشتد حرارتها فتكون حريفة فربما قرحت الجفون وخددت الخدود ولما كان أصل هذه الرطوبة من أخلاط الجسد التي هي محمولة في الدم وإنما تستحيل الى البياض بطابخ الحرارة الغريزية كما فى المني ونحوه فاذا لم يتم طبخها جاز أن توجد على لون الدم وان كان ذلك نادراً كما يوجد ذلك عند المكثرين من الجماع دماً قانياً واذا قلت هذه المادة لكثرة البكاء وجفاف الدماغ وامتلاء النفس عليه ودام سببه الفاعل مع قلة سببه المادي فيوجد من الدمع القليل ولا يجد له مدداً فيقف ويتحير واذا ورد على النفس شاغل قوي

فربما انصرفت اليه بغتة فينقطع البكاء دفعة ويقف الدمع كالجامد كما يحصل عند مفاجأة الرقيب ونحوه وكما يشاهد من انقطاع بكاء الطفل عند مايرد عليه مايخاف منه أو يلهيه عن حالته بغتة • ولما كان الدماغ رطباً وفيه من أصل الخلقة رطوبة فضلية تحتاج الى التنقية جعل الله تبارك وتعالى أسباب تنقيتها بكاء الاطفال مع مافي بكائهم من الاعلام بورود المؤدى عليهم لعجزهم عن النطق والاشارة

النتيجة

(وتشتمل على سبعة وثلاثين بابا)

الباب الاول

(في أوان البكاء)

قال ابن حبيب من شعراء الانموذج لابن رشيق

ليت الفراق غداة أورد أصدرا * بل لو تلوم ساعة وتصبرا

لما وقفت ودمع عيني واقف * في مقلتي حتى اذا رحلوا سرى

أخذ الصدر من قول البحترى

نهته رقبة الواشين حتى * تعلق لا يغيض ولا يسيل

وأخذ العجز من قول أبي الطيب

كأن العيس كانت فوق جفني * مناخات فلما سرن ساروا

يقال ان هذا البيت قرئ على بعض ملوك الروم فقال مايكون أكذب من هذا الشعر فكيف تكون الجمال فوق جفنيه • وقد ضمن النصف الاول من هذا البيت مجير الدين بن تميم فقال

وجيران الفتهمو زماناً * فأبعدهم نوى الحدثان عني

اثاروا عيسهم فجرت دموعي * كأن العيس كانت فوق جفني

وقال الشريف الرضى

فياصاحبي إن تعط صبراً فانني * نزعت يديّ اليوم من طاعة الصبر
فان كنت لم تدر البكا قبل هذه * فميعاد دمع العين منقلب النفر

وقال ابن المعلم

لولاه مابدا الغمام هاطلا * دمعي ولا اشتاق التراب خدي
وأنت ياعيني وعدت بالبكا * هذا الفراق فانعمي بالوعد

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ

لعيني كل يوم فيه عَبره * تصيّرني لاهل العشق عِبره
فمسجد دمعها لانقص فيه * وكم جهزت فيه جيش عسره
اذا غفل الوشاة أسلت دمعي * فيغدو مرسلا في وقت فتره

وقال ابن المعتز

مابال ليلى لايرى فجره * وما لدمعي دائماً قطره
أستودع الله حبيباً مضى * ميعاد دمعي أبداً ذكره

وقال أبو الحسين الجزار

أستودع الله من ودعتهم سحراً * يوم الرحيل وهم للقلب قد سحروا
وقال قلبي لطرفي عند فرقتهم * ماذا لدمعك فيه اليوم تنتظر
هناك آبت جفوني وهي مسرعة * إن الجفون بأمر القلب تأتمر

وقال شهاب الدين محمود

قالوا الرحيل وما تملت باللقا * عيني ولا امتلأت بغير مدامعي
حيران لا أدري لقرب انني * أذرى المدامع أو لبين رائع

قال أيضاً

ميعادجفنى والدموع التى * تهمي اذا برق الحمي أومضا
وعهدعيني بالكرى عندما * سرت مع الركب الذى قوّضا

وقال العماد الكاتب

تجود الثرى دمعي اذا ما ذكرتكم * بصيب غموم لا بصيب غمام
فلله دمعى قاضياً حق ودكم * اذا ماتقاضاه غريم غرام

وقال الشريف الرضى

قال لى صاحبي غداة التقينا * نتشاكى حر القلوب الظماء
ماترى النفر والتحمل للبين فما ذا انتظارنا بالبكاء
لم يقلها حتى انثنيت لما بي * أتلقى دمعى بفضل رداء

وقلت أنا في ذلك

لما أعتنقنا لوداع الهوى * وكدت من جمر الجوى أحرقه
رأيت قلبي سار قدامه * وأدمعى تجرى فما تلحقه

﴿ الباب الثانى ﴾

في وجود الراحة فيه

قال مهيار الديلمى

دعونى فلى إن زمّت العيس وقفة * أعلم فيها الصخر كيف يلين

وقال آخر

لاتلم في البكاء فالدمع لولم * يجر في الخد كان فى القلب جمرا

وقال ابن الخياط الدمشقى

أقم مأتماً قد أثكل الفضل أهله * وأبك المعالى قد أجد رحيلها
اذا أنت كلفت المدامع حملما * عناك من الاحزان خف ثقيلها

وقال ابن سناء الملك

كأن جفوني إذ تكاثر دمعها * تعد على الدنيا بين المساويا

وإني لأنهى الجفن عن فيض غربه * لاني رأيت الدمع للهم ماحياً

وقال أيضاً وأبدع

ولما مررت بدار الحبيب * وقد خاب في ساكنيها ظنوني

حملت همـوم جفوني بها * لان الدموع هموم الجفون

وقال دعبل الخزاعي

يشفي غليلك في الديار بقدر ما * فاضت بها من مقلتيك نجوم

فاذا انقضت حرق البكا عاد الهوى * وترادفتك مع الهموم هموم

وقال الشريف البياضي

إن عاش دمعك والركاب تساق * مـع ما بقلبك فهو منك نفـاق

لا تحبسن ماء الجفـون فانه * لك يا لديـغ هواهمو درياق

وقال أيضاً

الفت الضني من بعدكم فلوأنه * يزول إذا عدتم حننت إليه

وصار البكا لي مؤنساً فكأنه * تغيب عن عيني بكيت عليه

وهو يشبه قول أبي الطيب

خلقت ألوفا لو رددت إلى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وقرأه بعضهم حلفت ألوفا بالحاء المهملة والفاء وضم الهمزة من ألوف جمع ألف وهو تصحيف حسن • وأخذ هذا المعني أيضاً أبو الفرج العلا بن السواري فقال

فلو تجمّع شملي بعد فرقتهم * ولهت للبين لما صرت آلفه

وقال ابراهيم بن العباس الصولى

لا وحبك لا أوا * صل بالدمع مدمعا
من بكي شجوه استرا * ح وإن كان موجعا

وقال محمد بن شرف القيرواني

عتابا عسي أن الزمان له عتبـا * وشكوى فكم شكوى ألانت له القلبا
اذا لم يكن إلا إلى الدمع راحة * فلا زال دمع العين منهملا سكبا

وقال آخر

أرسل دموعك يوم البين إن بانوا * إن الدموع على الاحزان أعوان

وقال الحسين بن محمد البارع

نشدتهما أن يمنحاني وقفة * أبل بها شوقا وأقضى بها نحبا
وأن لا يلوما فى البكاء لعله * يبل غليلا أو ينفس لى كربا

وقال العباس بن الاحنف

فلم أر مثلما تشكو ضلوعي * وما راحت به من سوء زاد
أبيت مسهداً قلقاً وسادى * اخفف بالدموع عن الفؤاد

وقال ابن المعتز

وهاجرتني عيون كنّ راضية * ذنب المشيب إليها ليس يغتفـر
فغالبت دمعها والوجد دافعه * وكل جازعـة بالدمع تنتصر

وقال الخفاجي الحلبي

واذا الهموم ترادفت أحزانها * فالدمع يجمل سـعيه في كلها

وقلت أنا في ذلك

دعوني ودمعي عسى فيضـه * به تنطفى نار قلبي المروع
فمن شؤم خطيَ في الحب أن * أرى راحتي في انسكاب الدموع



﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ في حيرته في الجفون خوف الرقباء ﴾

ماأحسن قول البحترى في هذا المعنى

وقفنا والعيون مثقلات * يغالب طرفها نظر كليل

نهته رقبة الواشين حتى * تعلق لا يغيض ولا يسيل

وقال ابن صردر

أحبس دمعي فيندّ شاردا * كأنني أضبط عبداً آبقا

ومن محاشاة الرقيب خلتني * يوم الرحيل في الهوى منافقاً

وقال الواواء الدمشقي

كم دمعة كدت أذريها وما ظهرت * لما تركت رجائي في يد الياس

جالت فلما خشيت الوجد يظهرها * ويغتدى كافي جهراً لدى الناس

سترت بالكاس لحظي عن لواحظه * عمداً وغيضتها في لجة الكاس

وقال مهيار الديلمي

ولقد وقفت وما حظيت بمسعد * وشكوت لكن ما رزقت رحيم

والعين تكرم ثم تبخل حيرة * والركب يقعد تارة ويقوم

وقال الشريف الرضي

رجعت ودمعي فارغ من تجلدى * يروم نزالا للهوى ويهاب

وأثقل محمول على العين دمعها * إذا بان أحباب وعزّ إياب

وقال أيضاً

دمع تكمّن في الجفون فرعته * حذر الرقيب فلاذ بالاشفار

فكأن أسياف الخوارج تنتضي * وكأنه عثمان يوم الدار

وقال الارّجاني من قصيدة

فعينك سكرى بخمر الصبا * وعيني من حيرة الدمع سكرى

قلت اخذ عجزه من المتنبي حيث قال

لظرت اليهمو والعين سكرى * فصارت كلها للدمع مأوي

وقال الحسين ابن الضحاك

نفسي الغداء لخائف مترقب * جعل الوداع إشارة بعناق

إذ لامقال لمفحم متحير * إلا الدموع تصان بالاطراق

وقلت انا في ذلك

قد سال دمعي لفقد ظبي * رضاً به سكر وقرقف

ولو رأي في الهوى رقيباً * رأيته سائلا توقف

وقلت أيضاً

قدحار دمعي في جفني مخافة ان * يدرى الرقيب بأن الجفن يدريه

ياللرجال لأمر قد بليت به * على سهادى وقلبي في تلظيه

حتى ولا دمع عيني لم أجد فرجا * منه ولم اتصرّف بالبكا فيه

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ في أنه شاهد الحب ﴾

لبعض الشعراء

أنا صبّ وماء دمعيَ صبّ * وأسير من الضنى فى قيود

وشهودى على الهوى أدمع العيـ * ـن ولكننى قذفت شهودى

وقال محيي الدين يوسف بن ذبلاق

خذوا خبر الاشجان عن جفني السمح * فجمل حالى فيه يغنى عن الشرح

فان سفحت عيناي دمعي احمراً * فلا عجب سيل العقيق من السفح
أيجعله الواشي على الخد شاهداً * وحمرته في الجفن تؤذن بالجرح

وقال مجد الدين الاربلى

قلبي وطرفى ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وإنما * تعديل كل منهما في جرحه

وقال سيف الدين بن المشد

خذ بحقي من ذمة البرحاء * واقض لى في الوفا بحسن الوفاء
جرحت أدمعى شهود جفوني * فذفتها يوم النوى بالبكاء

وقال أيضاً

لائمي وقد منعت جفونى * من لذيذ الكري وطيب الرقاد
صنت دمعي بين الجفون فلما * قذفته حددتها بالسهاد

وقال ابن سناء الملك

العين تكذب أن يبيت خياله * فى محجري
ولأجل ذاك حددتها * بالدمع حد المفترى

وقال ابن نفاذه

وأكتم ماألقى ودمعى يذيعه * وقد نطقت منه به السن فصح
وتقريح اجفانى من الدمع شاهد * يزكيه فى حكم الهوي القذف والجرح

وقال بعض الشعراء

لقد قضي حاكم التبريح مجتهدا * عليّ بالوجد حتي ينقضي اجلى
لذ قذفت شهود الدمع فيك عسي * ان الوصال بجرح العين يثبت لى

وقال ابن قلاقس السكندرى

لو انها سمحت بطيف عائد * نصب الرقاد لها حبالة صائد

لكنها حجبته فاحتجب الكرى * عن ساهد وافى بدمع شاهد

وقال نجم الدين اسرائيل

بكيت من وجدى عليه دما * فناظرى بالدمع مقروح

وقلت طرفى فى الهوى شاهد * فقال ذا الشاهد مجروح

وقال شرف الدين بن القيروان

بكيت دما والقاصرات سوافر * فلاحت خدود كلهن مورّد

وقد وقف الواشون فى كل وجنة * على محضر فيه المدامع تشهد

وقال شهاب الدين محمود

تذكر بالحمى عهدا خزامه * وعيشا بالعذيب صفا فرامه

وأسكنه الجوي كمداً ووجداً * فقام الدمع في النجوى مقامه

فناح وباح من طرب وشوق * وأبدى وجده وشكا غرامه

وقال ايضاً

غنى بذكرا لحمي فارتاح كل شجي * وخاض بالدمع حادي الركب في لجج

حتي اذا لاح نور القرب وابتسمت * تلك الثنيات عن وجه الحمي البهج

فأي ماء دموع لم ترق فرحاً * وأي نار ضلوع ثم لم تلج

وكم لسان فصيح كلّ من دهش * فصاح نحو لسان المدمع اللهج

وقال البدر يوسف الذهبي

قد قذف الدمع وهو شاهده * بما قضته يد الهوى القذف

ومنذ أعيي عن وصف لوعته * لسانه قال للدموع صفى

والدمع والصبر أعوزا قلقا * لم يكف هذا وذاك لم يكف

وقال ابو الفتح ابن قادوس

من عاذرى من عاذل * يلوم فى حب رشا

إذا جحدت حبه * قال كفى بالدمع شاهد

وقلت انا فى ذلك

وأنت يامن أداجيه على شغف * به وهيهات ان تخفى الصبابات

لاتقبلن شهادات الدموع ومن * تعديل عطفيه كم فينا جراحات

﴿ الباب الخامس ﴾

في أنه فاضح الاسرار

قال بعض الشعراء

لى حبيب بين الورى شبهوه * بهلال السما وقد ظلموه

ليس لى عنه في سلوي وجه * وله في السلو عني وجوه

قمر كلما كتمت هواه * قال دمعي هذا المريب خذوه

وقال ناصح الدين الارجاني

تالله لم تر عاشقاً كمداً * ان كنت يوم البعد لم ترني

فالقلب يسبقني فأتبعه * والدمع أسرقه فيفضحنى

وقال ابن الساعاتى

لم تهم سحب الدمع بعد جحودها * الا وقلب البرق في الخفقان

مابحت بالشكوى إليه وانما * نسخت دموعي آية الكتمان

وقال الوأوا الدمشقى

يكفيك ما أفنت الايام من بدني * لم يبق جور الهوي مني ولم يذر

إني لأخفى اشتياقي وهو مستتر * من أين تخفى ودمعى صاحب الخبر

وقال ابراهيم الغزي

سكرى الفؤاد وان صحوا مرضى الهوى * والحب ما لمريضه إفراق

نطقوا بأعينهم وأفصح ناطق * دمع يفض ختامه الاشواق

وقال آخر

لوكنت ساعة بيننا مابيننا * وشهدت حين نكرر التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثاً * وعلمت أن من الحديث دموعا

وقال ابن التعاويذى

مالي إذا رمت السلوّ يلومني القلب الملـيم
واذا كتمت الحب باح بسريّ الدمع النموم
عيني وقلبي في الهوى * عين عليّ فمن ألوم

وقال أبو علي بن الشبلي

نام سمار الدجى عن ساهر * يجد الهم سميراً والبكاء
أسعدته أدمع تفضحه * وإذاما أحسن الدمع أساء

وقال مهيار الديلمي

لساني فيك أملكه * ودمع العين يملكني
هبني أستر النجوى * أليس الدمع يفضحني

وعكس ذلك فقال

ومع التحبة أن سر هواكمو * في الصدر خلف ممنع محزون
لم تدر من سترى له كبدي بمن * ذابت ولا ألم البكاء جفوني

وربما عاب بعض الناس مثل هذا على الشعراء إذا تناقض كلامهم وليس ذلك على اطلاقه بل هو مشروط أن يكون ذلك في مقام واحد أعني في قصيدة واحدة • أما إذا كان التناقض في مقامين أى في قصيدتين فلا يعد ذلك عيباً كقول امرئ القيس

فلو أنما أسعي لادنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

ثم إنه قال من قصيدة أخرى

إذا مالم يكن إبل فمعزي * كأن قرون خلتها عصيّ

فتملأ بيتنا أقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع وريّ

وكقول أبي الطيب

أحن الى أهلي وأرجو لقاءهم * وأين من المشتاق عنقاء مغرب

ثم أنه قال من قصيدة أخرى

غنى عن الاوطان لاتستفزني * الي بلد سافرت عنه إياب

ودواوين الشعراء ملأى من التناقض فى اختلاف المقام ولم يعد النقاد ولا الحذاق ذلك عيباً لأن الشاعر يتكلم على حسب حالاته وما تحدثه به نفسه من السلو مرة ومن دوام الحب أخرى ومن القناعة مرة ومن الغني أخرى فهو يتنغم بمقتضى الحال

(رجع) وقال ابن المعلم

ومعنف لى بالبكاء أجبته * والدمع يظهر مايجن ضميري

دعنى فما أخضر العقيق بعبرتى * إلا وصوح نبته بزفيري

مهلا فما دمعى بمحبوس ولا * قلبي على جور الهوي بصبور

وقال ابن البنيه

خذ من حديث شؤونه وشجونه * خبراً تسلسله رواة جفونه

لولا فضيحة قلبه بدموعه * مازال شك رقيبه بيقينه

وقال أبو الحسين الجزار

طرف المحب نم يذاع به الجوى * والدمع إن صمت اللسان لسان

تبكي الجفون على الكرى فاعجب لمن * تبكى عليه إذا نأى الاوطان

وقال مهذب الدين بن القيسراني

دمعي لسان فمه ناظر * تعزى الوشايات إلى سكبه
فاعجب لطرف دل قلبا على الـ * ـحب هو الواشي على حبه

أخذ الاول من القاضي الفاضل لانه قال

أي شأن لا يباح به * بعد ما قد باح لي شان
وكلام الصب أدمعه * لك والأفواه أجفان

وقال الامير أبو الفضل الميكالي

ان لي في الهوى لسانا كتوماً * وفؤادا يخفي حريق جواه
غير أني أخاف دمعي عليه * ستراه يبدي الذي ستراه

وقال الواواء الدمشقي

أيا ملزمي ذنب الدموع التي جرت * فأبدت من الاسرار كل مصون
أعنى على تأديب دمعي فإنه * يذوب إذا ما كنت أنت معين

وقال بعض المتقدمين

كتمت الهوى حتي اذا نطقت به * بوادر من دمعي تسيل على خدى

وقال ابن القيسراني

تجاهل صحبي أن بكيت صبابة * عليّ وقالوا ماجرى قلت أدمع
وماعبر الصب الكئيب عن الهوى * بمثل لسان فوه جفني ومدمع

وقال شهاب الدين بن دمرداش

أخفيت سر هواكمو ضنا به * إن المتيم بالهوى لضنين
فوشت به عيني ولم أك عالماً * من قبلها أن الوشاة عيون

وقال الاسعد بن مماتي

في حجور المحاجر اليوم أطفا * ل دموع ليوم هجر أرب

والذي بيننا حديث مهم * عنه نطقي ينبي ودمعي ينبي

وقال أبو هلال العسكري

آفة السر من جفو * ن دوام دوامع

كيف تخفى مع الدمو * ع الهوامي الهوامع

وقلت أنا في ذلك

يامانحي ذلة الخضوع * ومانعي لذة الهجوع

عاقبتني لافتضاح سري * والذنب في ذاك للدموع

وقال أيضاً

لا تروموا على دموعي مزيداً * قد كفى ما جري من الاجفان

كم كتمت الهوى وما كنت أدرى * أن شاني في الحب يفضح شاني

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ في أنه غسل العين ﴾

أول من فتح هذا الباب للشعراء مجنون ليلى فقال

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع

فجاء المتأخرون وزادوا فيه زيادة حسنة لا بأس بها فمنهم ابن هند لانه قال

يقولون لي مابال عينك كلما * رأت حسن هذا الظبي أدمعها هطل

فقلت زنت عيني برؤية وجهه * فكان لها من صيب أدمعها غسل

وقد ظهر لي فيه مؤاخذة لانهم قالوا له لاي شيء كلما ترى هذا الظبي تبكي فقال لأن عيني زنت برؤية وجهه. قلت الغسل يكون مرة واحدة وبه يرتفع الحدث بل الاحداث المتعددة فما الجواب مطابق لسؤالهم لانهم قالوا تبكي كلما رأيته. ولو قال لان عيني كلما زنت

برؤية وجهه تغتسل لكان مطابقاً لسؤالهم وهذا ظاهر جلي • وأخذه الثعالبي فقال

إنسانة فتانة * بدرالدجى منها خجل
إذا زنت عيني بها * فبالدموع تغتسل

وتابعه ابن الساعاتي فقال

جفني الذي يرد الكرى متأسفاً * جهلا ورجم الدمع حد المحصن

قلت هذا مع حسنه وزيادته على من تقدمه فيه عيبان أحدهما أنه ماوطأ للاحصان فيما تقدم حتى ينطبق المفصل على المفصل • والثاني أنه ما القاعدة في الرجم أن يكون بالدموع وكان ينبغي أن يقدم لذلك مقدمات تؤيد هذه الدعوي وقال آخر هو أبوالحسن بن أبي قاسم القاشانى كما سيأتى فى الباب الثانى عشر

عيناي مذشط المزار بكم * تحكي سما والدموع أنجمها
كأن في وجنتي أبالسة * تسترق الدمع فهى ترجمها

وقال أبو الفضل الميكالي

سل محباً أعياه فرط هواه * فضناه ينوب عن ترجمانه

قلت هذا أخلص في النقد من الاول لانه علل رجم الدمع إذا هو استحسن غير محبوبه وأما أبالسة مجردة في الوجنة تسترق بمجرد الدمع حتي ترجم بالدموع فليس بكاف من نفس المعنى وللنقد فيه مجال ومجاز • وقول الاول كأن في وجنتي أبالسة ليس بمجرد ذكر الابالسة • وأحسن منه وأكمل قول الآخر

جنت فصوذني بكفك إن لي * شياطين شوق لايفارقن مضجعي
إذا سرقت أسرار دمعي تمرداً * بعثت اليها فى الدجى شهب أدمعي

وما أحسن ما استعمل السراج الوراق هذا المعنى حيث قال

ودمـوع في إثرهن دماء * كانسكاب الولي بعد الوسمي
يتراكضن بين شهب وحمر * والغواني يبكين حولي بدمي
وزناء العيون تطهيره من * شهب الدمع في الظلام برجم

قلت انظر كيف أتي بذكر الرجم مشتركا بين رجم النجـوم وغيره وأيده بلفظ الشهب التي وطأ بها في كون الدمع وأكده بذكر الظلام فلما كثرت التوطئة جاز ذكر الرجم في موضعه متمكناً من القواعد التي قررها له والدّم فى قوله ليست صفة الدمع بل صفة العيون لانه جاء في ذكر الغواني وما أحسن ما استعمل الرجم في مكان آخر

نظرت من خلل السجف كشمس من دجون
وعلينـــا رقبـاء * هجروا نوم العيـون
فتطارحنـا هـوانا * برسالات الجفـون
وزنينـا بعيـــون * ورجمنـا بظنــون

وأما ابن الفارض فانه قد خلص من هذا كله واستعمل الغسل فقال

وقد سخنت عيني عليها كأنها * بها لم تكن يوماً من الدهر قرّتِ
فانسانها ميت ودمـعي غسـيله * وأكفانه ما ابيض حزناً لفرقتي
فللعين والاحشاء أول « هل أتى » * تلا عائدي الآسي وثالث « تبت »

قلت قد أحسن في استعمال إنسان العين ميتاً والميت الذي لاحركة له ومتى بطلت حركة الانسان لزم موت الانسان فكأنه نفسه مات. وأما الاول من « هل أتي » فهو الآية الكريمة وهل فى الآية بمعني قد وهو يعود للعين وثالث « تبت » هو « سيصلى ناراً » وهو يعود للاحشاء فأحسن في هذا اللف والنشر وقال الشريف أبو الحسن علي

ابن حيدر

إمتصّ حمرة خــده * باللحظ طرفي إذ رنا
فجلدته بدمــوعــه * والحــد يلزم من زنى

وقال ابن قزل

تنبأ دمعي في ضــلالة شعره * ألم تره في فترة الجفن يرسل
اذا ما زنى انسان عيني بنظرة * الى حسنه يوماً فبالدمع يغسل

وقال ابن نفاذه

قد ضحكت عيني من بكائها * واغتسلت من بعــدكم بمائها
فلم يطهرها وقد خالطــه * ما أجرت الاشواق من دمائها

قلت في قوله ضحكت واغتسلت فائدة يسأل عنها وما أظن الناظم تنبه لذلك وهى ما الفائدة في قوله اغتسلت بعد قوله ضحكت اذ الضحك لايوجب الاغتسال . والجواب أن الضحــك هو الحيض وبه فسر قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحق ولهذا قال الحريرى فى المقامة الثانية والثلاثين قال فان ضحكت المرأة في صومها قال بطل صوم يومها وإذا حاضت العين ناسب اغتسالها فان قلت كيف تحيض العــين قلت يخرج مخرج الاســتعارة لوجود الدم وهو البكاء . وكل من تقــدم خلا ابن نفاذه استعمل لفظة الزنا وهو غير لائق بالمحبوب والعشاق . فان لفظة الزنا لفظة ينفر منها السمع لتحريمه في الشرع وما أحسن قول السراج الوراق

يامازح الطرف مُرنومي يعاودني * فقد بكيت لفقد الظاعنين دماً
أوجبت غسلا على عيني بأدمعها * وكيف وهي اذاً لم تبلغ الحلما

وقال عفيف التلمساني

قالوا أتبكي من بقلبك داره * جهل العواذل داره لجبي
لم أبكه لكن لرؤية وجهه * طهرت أجفاني بفيض دموعي

وقال السراج الوراق يرثي امرأة

وجوه عليها للحياء براقع * وللصون من بعد الخدور خدور
فكم من رداء طاهرات جارياً * على فقده دمع هناك طهور

وقلت أنا في ذلك

منعتم جفوني لذة الغمض في الدجى * فما ذاق طرفي بعدكم للكرى طعماً
فكيف قضيتم بعدها أن أدمعي * لعيني غسل وهي لم تعرف الحلما
أظنكمو طهرتمو بمدامعي * عيوني لما إن رأت غيركم قدما

﴿ الباب السابع ﴾

في أنه نار أو شرار

قال مهيار الديلمي

جمعت علية حرقة الدمع والجوى * وما اجتمع الداآن الا ليقتلا
هي لي عيني واجعلي كلفة الاسى * على القلب إن القلب أصبر للبلا

وقال ابن نفاذة

وكنت أسر الوجد في القلب جاهداً * وهذا لسان الدمع قد قاله جهرا
وقد طار من جفني شرار مدامعي * لحقق صحبي أن في كبدي جمرا

وقال أيضاً

أقل وجدي مذ تناءوا فكر * وبعض ماألقاه فيهم سهر
كأنما قلبي زناد في الهوى * يقدحه الشوق ودمعي شرر

وقال مجد الدين ابن منقذ

يا راحلين وقلبي في محلهمو * والدار دانية والشمل مفترق
أحبب الحيّ بليل التم أسهره * تفكرا فيكمو والدمع يستبق
وكلما فاض دمعي زادني حرقا * فكيف حالة من بالماء يحترق

قلت لو كان عندي تعنت الادباء لقلت إنه نقل هذا المعنى من قول الشاعر

من غصّ داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وقال ابن الساعاتي

مقلتي أصمت بلحظ مقلتي * فمن المشكوّ والمرميّ رام
أحرقتني وهي ماء أدمعي * إن ماء الدمع نار المستهام

وقال أيضاً

يا بارقاً صدع الدجى * من ومضه سهم مرق
قلبي وأنت وقرطه * كل يهيم إذا خفق
ومدامعي ماء ولكن فعلها فعل الحرق

وقال أبو جعفر الغزالي في مجمر

ومجمر ملئت ساحاته بغضا * والجمر يرمي شراراً وهو يستعر
كلفت تشبيهه يوماً فقلت خذوا الذ * تشبيه عني لا يشغلكم الخبر
فمجمر النار صدري والغضا كبدي * والجمر قلبي ودمعي ذلك الشرر

وقال شهاب الدين محمود

محب روى عنه الضني ما بقلبه * من الشوق نحو الظاعنين فما غوى
أعاد فراق الحيّ ماء جفونه * لهيباً اذا ماسال في خده كوى

وقال شهاب الدين محاسن الشوا

أعانقها يوم الوداع ولم أخف * رقيباً لاني قد خفيت من السقم
بكيت عقيقاً من شقيق لبعد من * بكت لؤلؤا من نرجس ساعة الضم

غدا من سرور بارداً در دمعها * ومرجان دمعي راح سخناً من الهم

وقلت أنا في ذلك

هل لي من وِزري لديكم وَزَرْ * قد ذاب طرفي بالبكا والسهر
لو لم يكن في القلب جمر الجوى * ما كان دمعي فوق خدي شرر

﴿ الباب الثامن ﴾

في أنه حجب الناظر

قال مهيار الديلمي

أبارقٌ ماتشيم عيني * أم المصابيح في الحمول
انظرفان الدموع خاطت * جفني على ناظر كليل

وقال الشريف الرضى

ياخليليَّ انظرا عنى الحمى * إنّ طرف العين بالدمع أعاما
طالما استسقوا لعيني دمعها * إنما استيقيت للدار الغماما

وقال ابن سناء الملك

إذا نظرت عيني سواك تلثمت * حياء بعنوان الوفاء من الدمع

وقال ابن حبيب

مُجرى جفوني دماً وهو ناظرها * ومتلف القلب وجداً وهو مرتعه
إذ بدا حال دمعي بعد رؤيته * يغار مني عليه فهو يرتعه

وقال القاضي الفاضل فأغرب

ولما مررنا بالرسوم تنفذت * بها للهوى في العاشقين المراسم
بكيت فغطى الدمع أنوار أعين * ومن عجب أن الدموع كواتم

وقال مهذب الدين قلاقس

حجب الدمع إلى مقلتي فعداها * أن ترى مايروقها مايريق
ولآلي دموع عيني طواف * فلماذا غواصهن غريق

وقال ابن عفيف الدين التلمساني

متحجب حتى بدمعي إن بدا * وتلاه حتى الدمع من أعوانه
مازال يأخذ درّ دمعي صده * حتى انتهت يده إلى مرجانه

وقال نور الدين بن موسى المغربي

بعيشك هاتيك الديار ديارها * وهذي التي تزكي على الدمع نارها
أعد نظراً ياسعد إن بمقلتي * حجاب دموع منذ شط مزارها

وقلت أنا في ذلك

سألتهمو وقد عزموا التنائي * قفوا نفساً عليّ فما أجابوا
ولم أرهم وقد زمّوا المطايا * لان الدمع في عيني حجاب

وقلت أيضاً

هم نور عيني وإن كانت لبعدهمو * أيام عيشي سوداً كلها عطب
إن يحضروا فالبكا غطى على بصرى * فهم حضور وفي المعنى همو غيبُ

﴿ الباب التاسع ﴾

(في أنه دم)

قال الأرّجاني

دنوت عشيّة التوديع مني * ولي عينان بالدم تجريان
ولم يمسحن إكراماً جفوني * ولكن رُمْنَ تخضيب البنان

وقال ابن الساعاتي

سلوا بالحمى أين الظباء السوانح * وهل ظل بعدي بانه المتناوح

جرى ماء عيني يوم كاظمة دماً * فأعلمني أن البروق صفائح

وقال ابن قزل

جرحوا قلبيَ الاسير لديهم * وأسالوا ليَ الدما من أماقي

عجباً لي وقد فنيت بكاء * وبرغم الدموع أني باق

وقال أيضاً

جرى على الركب دمع عيني * يوم استقلوا بغير عين

وفاض حتى خشيت منه * يحول ما بينه وبيني

قلت كأني بمن لا دربة له بالأدب وقد قال ما الدم في هذين البيتين ذكر فما لسياقتهما في هذا الباب وجه وجوابه أن يقال ألم تر قال جرى دمعي بغير عين واذا كان دمعاً بغير عين فقد صار دما وقد أخذ المعنى من عمر بن علي المطوعي حيث قال

بانوا فامطرت الاجفان بعدهمو * من نوء عيني على خدي نوعين

حتى إذا نفضت عيني مدامعها * بقيت أبكيهمو دمعاً بلا عين

وقال ابن قزل

يا نازحين عن الحمى خلفتموا * جسداً بكم مضنى ونفساً باليه

وسكنتموا غور الحشى فدامعي * تجري شريعتها وعيني داميه

وقال المعتمد بن عباد أحد ملوك الاندلس

ولما وقفنا للوداع عشيّة * وقد خفقت في ساحة القصر رايات

بكينا دما حتى كأن جفوننا * بجري الدموع الحمر فيها جراحات

وقال محمد بن شرف

صنم من الكافور بات معانقي * في حلتين تعفف وتكرم

فكرت ليلة وصله في هجره * فجرت بقايا أدمعي كالعندم

فطفقت أمسح مقلتيَّ بجسمه * اذ شيمة الكافور إمساك الدم

ومن هذه المادة قول محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي

أتذكر إذ مسحت بفيك عيني * وقد حل البكا فيها عقوده

ذكرت بأن ريقك ماء ورد * فقابلت الحرارة بالبروده

وقال شرف الدين بن الفارض

أبق لي مقلة لعلي يوما * قبل موتي أرى بها من رآكا

قد كفى ما جرى دما من جفون * لي قرحى فهل جرى ما كفاكا

وقال ابن المعلم

ركب اللجاجة في الغرام وكلما * عابوا الجنون عليه زاد وتمما

ولقد درى أن التهتك لم يفد * قيساً ولا نفع البكاء متمما

وطوى على الوجد الضلوع وما طوى * وحمى عن الصحب الدموع وما حمى

لاموا على زفراته فشكى جوى * واستكثروا عبراته فبكى دما

وقال ابن نفاذه

كتم الغرام فهل يصح جحود * والسقم قاض والدموع شهود

أجرى الهوى إنسان ناظره دما * فكأنه في جفنه مفصود

وقال القاضي الفاضل

قالوا بكيت وقد زكيت وجنتها * فقلت بل جئت عني بالدم الكذب

لا تعدلوا الجفن في صوبي دم وكري * لو لم يصب بسهام الجفن لم يصب

وقال أيضاً

أعزز علي بان ظلت ديارهمو * تسدى الهموم بها إذ مدت الهمم

وما لبست دموع العين عاطلة * الا وفيض دمي في ردنها علم

وقال أيضاً

اذا ماجرى جفني دما بمدامعي * علمت بان القلب راح قتيلا

فما القلب الا للهموم قراره * وما الجفن الا للدماء مسيلا

وقال ابن الحيمي يخاطب قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في عمل محضر لاخوين معسرين أحدهما يسمي حسن والآخر يسمى حسين

ياثانيَ القمرين بل ياثالث الـعمرين هذا محضر الحسنين

أخوان قد نزفت عيونهما دماً * بالفقر فانظر في دم الاخوين

وقال حسام الدين عيسى بن بهرام الحاجري

ولما التقينا ومنّ الزمان * رأي دمع عيني دماً في المآقي

فقال وعهدي به لؤلؤا * أجرى عقيقاً وهذا التلاقى

فقلت حبيبيَ لاتعجبن * جعلت فداءك ميتاً وباقي

فتلك أوائل دمع الوداع * وهذى أواخر دمع الفراق

وقال ابن سناء الملك

أشكو اليها رقتي لسترق لى * فتقول تطمع بي وأنت كمارى

واذا بكيت دماً تقول شمتّ بي * يوم النوى فصبغت دمعك أحمرا

وقال أيضاً

وتوالى همي عليّ الى أن * ضاق ذرعي بل ضاق والله درعى

كيف قد زيد في دم العين عين * أنا أجرى دمي فلم قيل دمعى

وقال ابن سناء الملك

لاتحسبوا أني بكيت دماً * ولئن بكيت فليس بالبدع

لكن دمعي حين قابله * ألقى شعاع الخد في الدمع

أخذه الباخرزى لانه قال

شكوت الذى ألقي سهاداً وعبرة * وقلت احمرار الدمع يخبر عن وجدى

فقال محال ما ادعيت وإنما * سرقت بعينيك التورد في خدى

وقال الوأواء الدمشقي

وإذا نظرت الى محاسن وجهه * لم تدر من نظرت إليه ظماءى

فامزج بمائك كاس راحك واسقنى * إني مزجت مدامعي بدماء

وقال الشريف البياضي

يبكي فراقكمو دماً ويجله * عن أن تجود به العيون دموعا

ما أنضجت نار الغرام جوانحا * إلا وصاعدت الدموع نجيعا

وقلت أنا

نثرت دم الاجفان مني بمحجرها * فظنته فيه حب رمان نهدها

وجست بروع نهدها قلت سالم * ولكن دموعي نقطتك بجمرها

وقال شهاب الدين التلعفري

وأغن أغناه الجمال بخله * إن الجمال بوصله لشحيح

أجرى دماً جفني وأسهره إلى * أن خلت أن النوم فيه ذبيح

وقال أيضاً

وقالوا جرت حمراً دموعك قلت عن * أمور جرت في كثرة الشوق قلت

نحرت لضيف الطيف في جفني الكرى * قرى فجرى دمعي على صحن وجنتي

وقال أيضاً

منازل للصبا مازال تملي * له فيها بمن أهوى اتصال

دموعي بعدها دال وميم * على خدي لها ميم ودال

وقال علاء الدين الوداعي

ياموادعاً بوداعه في مهجتي * حرقاً تؤججها يد التذكار

أبكيت طرفي بعد أدمعه دماً * وكذا يكون بكاء أهل النار

وقال أيضاً

ما أعجب البرق إذا أضاء * فضاء ناراً وفاض ماء
كأنه مهجتي تلظت * فأسبلت عبرتي دماء

وقال أيضاً

وغرامي هو العذاب وما فا * ضت دموعي إلا حميا آن
ودمالا شقت سماء خدودي * فغدت وهي وردة كالدهان

وقال الارجاني وأحسن

خدّها يصبغ الدموع ودمعي * يصبغ الخد قانياً بالدماء
فترى العين في بها صفحة الخد * سواء وما هما بسواء

وقال البدر يوسف الذهبي

ودمع العين صب مثل قلبي * وراء ركائب الغيد الحسان
فيالك سائلا ردوه نهراً * لعثر في رداه الأرجواني

وقال مهذب الدين القيسراني

عاينت أدمعها على لباتها * كالعقد من فرط العناق تبددا
وكأن طرفي حين أبكته دما * ألقى الشعاع بخدها فتوردا

وقال شهاب الدين محمود

بالله ياحادي الركائب سحرة * قف بالمطي ولو كنعسة هاجع
لأبث أشواقي وأكتب قصتي * أسفاً بدام من جفوني دامع

وقال أبو الحسين الجزار

مضى لي به عيش بكيت لفقده * وهيهات ان يرتد عيشي اذا مضى
ليال مضت بيضاً وحمر أدمعي * يعيد عليها أسود العين أبيضا

وقال مهذب الدين القيسراني

تناكرني الهوى وقد احتكمنا * أقمت بعبرتيّ شهادتين
ومن هذا بكيت دماً ودمعاً * لتنطق عبرتي بعبارتين

وقال عفيف الدين التلمساني

فخرت بحسن النظم فيه فقال لي * تعلمته من نظم ثغري وعقده
ولما رأى دمعي دماً ظن خده * تراءي لدمعي فاكتسى لون ورده

وقال شهاب الدين محمود

تريه أوهامه بان النقا فإذا * أفاق لم ير إلا الوجد والأسفا
ويثني داميَ الاجفان ملتهباً * بوجده دائم الاشجان ملتهفاً

وقال السراج الوراق

دع مقلتي للدمع والأرق الذي * كم هيّجته حمامة ورقاء
أبكي ليالي حاجرٍ بمحاجرٍ * بهوى العقيق دموعهن دماء

وقال يرثي الرشيد العطار المحدث

دمعي على الشيخ الرشيد مرسل * وحزن قلبي أبداً مسلسل
بكى دماً جفني القريح بعده * لو بالجريح يقتدي المعدَّل

وقال علم الدين القمني

قالوا بكيت على العذيب كأنه * وبكيت في نجد دما متحدّراً
فأجبت أشهب أدمعي من بعدكم * لم يجر في خدي فسقت الاحمرا

وقلت أنا في ذلك

أملت أن تعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا يرى
وعلمت أن بعادكم لابد أن * يجري له دمعي دماً وكذا جري

وقلت أيضاً

أما ترني الجسم عاد رثا * وناح له الحمام جوى وأرثى

وترحم ذا دموع فيك أضحت * تحث على البكاء دماً وتحثي

وقلت أيضاً

قال وقد أبصر دمي دماً * هـذا وما رعتك بالبين

فقلت لما فنيت أدمعي * بكيت بالدمع بلا عين

وقلت أيضاً

إذا اسودّ قلبي فيك من نار حرقة * فما تغسل الاجفان مني سوى خدي

وقد صرت أبكي كل شيء مثله * لأني فرد في الصبابة والوجد

فثغرك أبكيه بأبيض أدمعي * وأحمرها أبكي بها خدك الوردي

وقلت أيضاً

جرحت قلبي فأجريت الدموع دماً * ففيض دمعي من تلك الجراحات

وراح دمعي يجاري فيك نطق فمي * فالشأن في عبراتي والعبارات

﴿ الباب العاشر ﴾

(في أنه عقيق أو مرجان)

قال بعض الشعراء

قلت للظاعن المجدّ بليل * وقد اعتدّ للفراق الفريق

يا منادي الفراق أرخصت دمعي * قال لي هكذا يباع العقيق

وقال ابن نفاذه

وكان دمعي لؤلؤاً وقد جرى * منه وقد جازوا عقيقاً أحمرا

وغادروا في كبدي ناراً سمي * وفي جفوني غدراً مذ غدرا

قلت أيضاً

وناحل الخصر عقد البند منه على * أوهى وأضعف من تعليل نحويّ
أحوى تبدّد مرجان الدموع على * خدى بمنظوم ثغر منه دريّ

الاول مأخوذ من قول ابن فارس اللغوى

مرت بنا هيفاء مجدولة * تركيّة تعزى لتركيّ
ترنو بطرف فاتن فاتر * أضعف من حجة نحويّ

وقال ابن الساعاتى

متلوّن الاخلاق غادر أدمعي * بالصد والهجران ذا ألوان
أخفى الجمان فظن عيق فاقة * ثم استنجم فعاد بالمرجان .

وقال ابن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صبّ على عرش الغرام قد استوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبه * فهو العقيق على الحقيقة واللوى

وقال ابن قلاقس

قال السلام على من لو مررت به * أهدى السلام له يقظان ما سلما
واهتز كالغصن المياد فانتثرت * مدامعي حوله العناب والعنما

وقال النصير الحمامى

واعجبا من عاذلى في الهوى * لم تنه وعّاظ أجفانى
وطرفيَ البكاء مما رأى * يوم النوى والدمع مرجاني

وقال السراج الوراق

لست أنسى ساعة البين وقد * وجم الشائق منا والمشوق
ورجوعي بدموعي حائراً * لست أدرى بعدهم أين الطريق
وعلى الاكوار منهم قمر * ليس للاقمار إن لاح شروق
كلما أم العقيق امتزجت * أدمعي فهي جمان وعقيق

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر

ذو لحاظ تغار منه المواضي * كم على مهجتي لها من غاره
من عيوني تبدي المدامع بيضاً * ثم حمراً لانها سحّاره

وقلت أنا في ذلك

قد كان دمعي أبيضاً حتى إذا * رحلوا غداللهجر أحمر قاني
تجري بمجرى وجنتيَّ فيمتلي الـ * مرجان من عينيَّ بالمرجان

الباب الحادي عشر

في الاعتذر لبياضه

قال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي

قالوا تباكى بالدموع ومابكى * بدم على عيش تصرم وأنقضى
فأجبتهم هو من دمي لكنه * لما تصعد صار يقطر أبيضاً

وقال أيضاً

وأنكر صحبي كون دمعي أبيضاً * أيخفى عليهم شأنه كلما بدا
وما كان إلا من دم القلب أحمراً * فقطرته فابيض لما تصعدا

وقال آخر

تعجبوا من أدمعي إذ غدت * بيضاً وكانت من دم قاني
لاتعجبوا طرفي رب الهوي * فكل يوم هو في شان

وقال آخر

تظنون ماتذرى جفونيَ إذغذت * على الدم منها يستحيل فيقطر
تعيد بياضا حمرة الدمع لوعتي * كما بيض ماء الورد والورد أحمر

وقال أبو حفص عمر المطوعي

قالت عهدتك تبكى * دما حذار التنائي

فما لعينيك جاءت * بعد الدماء بماء

فقلت ماذاك عندى * لسلوة وعزاء

لكن دموعيَ شابت * لطول عمر البكاء

وقلت أنا في ذلك

مذ قال ما للدمع هذا أبيضاً * أجبت يا من قد جفا وأعرضا

أليس أن الدمع أملح طعمه * ولا يكون الملح الا أبيضا

﴿ الباب الثاني عشر ﴾

في أنه نجوم

قال أبو الحسن بن أبي القاسم الكاشاني

عيناي مذ شط المزار بكم * تحكى سما والدمع أنجمها

فإن في وجنتي أبالسة * تسترق السمع فهي ترجمها

وقال آخر

جنات فمؤذني بكتبك إن لى * شياطين شوق لاتفارق مضجعي

إذا سرقت أسرار جفني تمرّدا * بعثت اليها في الدجى شهب أدمعى

وقال ابن الساعاتى

أكفكف غرب الدمع والدمع جاهل * وأستنجد السلوان وهو حليم

إذا ما ارتقى شيطان عذل محاولا * سماوات دمعي فالدموع رجوم

قلت استعمال الشيطان هنا أتم وأكمل مما تقدم وإضافته إلى العذل أمر مناسب وقال بن سناء الملك

لاغرو لما غاب شمس الضحى * أن يطلع الجفن دموعي نجوم

لفظت ما الدمع نجوم به * لكنه در بحار الهموم

وما أحسن قوله در بحار الهموم ولكن إضافة الدر الى بحر الهموم غير مناسبة لان الدر شيء نفيس عزيز يورث النفس بسطة وبهجة والقلب تفريحاً والهم شيء يظلم النفس ويكمدها ويكدر القلب فبينهما هذا التناقض وعلى كل حال فهو تخيل غريب

وقال أيضاً

ليس الادمعي الذي من رأى جفني رآه كأن دمعي هدبي
أنجم الدمع لاتغيب شروقا * مع أني رأيتها في الغرب

أخذه محمد بن غربي فقال

بكيت بدمع يخجل الغيث سكبه * ليالينا بين المصلى إلى جمع
وقالوا بأن الشرق للشهب مطالع * فلم طلعت من غربها أنجم الدمع

وقال أيضاً

على الصب أن يخفي الصبابة جهده * إذا لم يخنه في الهوى المدمع السكب
أليس الى مرآهم الطرف ظامئاً * وقد رويت من فيض أدمعه الترب
نجوم دموع أشرقت من غروبها * أم بصرت شهباً من مطالعها الغرب

وقلت أنا في ذلك

ولي شياطين سلوى * لها الدموع رجوم
وما تعشقت بدراً * إلا ودمعي نجوم

وقلت أنا أيضاً من قصيدة

نفّس خناق الوجد عنك بعبرة * فالحد إن لم تبقه لم تبقه
إن الدموع هي النجوم حضيضها * بين الجفون وأوجها في الاوجه

﴿ الباب الثالث عشر ﴾

﴿ في أنه لؤلؤ ﴾

قال الأرجاني

لم يسأروا في كأس دمعي فضلة * عنكم فأجعلها نصيب الاربع

هو ذلك الدر الذى ألقيتمو * في مسمعي ألقيته من أدمعي

يشبه قول محمود الخوارزمي صاحب الكشاف يرثي شيخه أبا نصر

وقائلة ماهذه الدرر التي * تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذى منه قد حشى * أبا مضر أذني تساقط من عيني

والارجاني وصاحب الكشاف رحمهما الله تعالى كانا متعاصرين لأن الأرجاني توفى سنة أربعة وأربعين وخمسمائة وصاحب الكشاف توفي سنة ثماني وثلاثين وخمسمائة فما تحكم لأحدهما أنه أخذ المعنى من الآخر * نعم إن الارجاني أقعد منه بالشعر وتخيل المعانى وليس أحدهما بصاحب المعنى لان أبا العلا المعري توفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة وقد قال

وألقين لي درًّا فلما عددته * غني مسخته شقوة الجد أدمعي

وقال أيضاً

شموس أتت مثل الاهلة موهناً * فقامت تراعي بين حسري وطلع

وقال الارجاني أيضاً

أجري دموعي وحق اليوم مارقأت * وبالذى سر قلبي الإلف حدثني

كأنما خرقت كف الوداع إلى * عيني طريقاً لذاك الدر من أذني

وأخذه ابن سناء الملك فقال

وانفقت من سر المدامع للأسى * كنوزاً لهذا اليوم كنت ادخرتها
وسلت على خدي من لوعة الجوى * سيول دموع خضتها ثم عمتها
لآلئ دمع من لآلئ ثغرها * ففي وقت لثمي كنت منها سرقتها

ومثله قول الرشيد النابلسي

إذا ذكر الخد المورد فرقت * مدامعه فى الخد دمعاً موردا
تعلق ذاك الثغر دراً منظماً * تساقط من جفنيه دراً مبددا

وقال ابن نفاذه

ناعمة أطرافها بديعة * أوصافها لحسنها البدر سجد
عانقتها نخلت در عقدها * فى نحرها يوم النوى دمعي جمد

وقال ابن قلاقس

رفعوا ذيول النجم عن أجفانهم * واستنشطوا لحظاً عليه غيورا
وتمطلوا لولا عقود مدامع * حلت لخلت بالجمان نحورا

وقال ابن سناء الملك

وغدت مودعة فقلبي يلتظي * حتى تعود ومقلة تستعبر
وكأنها تركت بخدي عقدها * ليكون تذكرة بها يتذكر

وقال أبو الحسين الجزار

نقلت لقلبي ما بجفنك من كسر * وعلمت جسمي بالضني دقة الخصر
وغادرت دمعي فوق خدي كأنه * ثناياك لما لحت مبتسم الثغر

وقال الميكالى

صد الحبيب بوجهه * فجفا رقادي إذ صدف
فنثرت لؤلؤ أدمع * أضحى كدر في صدف

وقال السراج الوراق من أبيات

ابصرت من كل الشقائق خدها * فأرتك منه الحاسد المتلونا
فضحت مباسمها العقود وحكمت * دمعي فقال ومن يحاكمني أنا

وقلت انا في ذلك

يامن رنا وانثني لما بصرت به * فالسيف والرمح مهزوز ومسلول
إن كان خدك ياقوتاً يشف سني * ففي سلوك جفوني أدمعي لولو

الباب الرابع عشر

في انه زهر

قال ابن قلاقس السكندري

لا والذي لو أتاهم خبراً * إخال أعضاه له أذنا
ما نثر الشوق دمعه زهراً * إلا وقدهن قلبه غصنا

الاول مأخوذ من قول ابن كشاجم

جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
غنت فلم يبق في جارحة * إلا تمنت بأنها أذن

وقال الوليد بن الحسان

نزلوا حديقة مهجتي أو ما ترى * أغصان أهدابي بدمعي تزهر

وقال مهذب بن الزبير

وما الدمع يوم البين الا لآلئ * على الرسم في رسم الديار نثرناها
وما أطلع الزهر الربيع وإنما * رأى الدمع أجياد الغصون فحلاها

وقال ابن الفارض

ياسقى الله عقيقاً باللوى * ورعى ثم فريقاً من لوي
وأويقات بواد سلفت * فيه كانت راحتي في راحتي

معهد من عهد أجفاني على * جيده من عقد أزهار حليٌّ

وقلت أنا في ذلك

أيا عجبا لاحشاءٍ حريقه * وأجفاني بما دمعي غريقه

ولي حدق ولكن فيك صارت * بأزهار المدامع لي حديقه

وقلت أيضاً

أيها الجيرة الذين تناءوا * وسقوني الوصال حلوا ومرا

حدقي فيكم حدائق أضحت * قضبها الهدب والمدامع زهرا

﴿ الباب الخامس عشر ﴾

في ادعاء شربه

قال ابن التعاويذي

بات يجلو عليَّ روضة حسن * بت فيها ما بين روض وآس

أمزج الكاس من جناه وكم ليـــلة ضد مزجت بالدمع كاسي

وقال مهيار الديلمي

أذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكرى قربت من نزحا

وارحموا صبا إذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

وقال ايضاً

أدر يانديمي كاس المدام * فكاسي من بعدهم أدمعي

وإن كان خدك فيه الثلاث * فإني لاشرب بالاربع

وقال الشريف الرضى

وتركتني ظمآن أشرب أدمعي * أسفاً على ذاك اللمي الممنوع

قلبي وطرفي منك هذا في حمى * قيظ وهذا في رياض ربيع

ابكي ويبسم والدجى مابيننا * حتى أضأ بثغره ودموعى

وقال ايضاً

بات يعاطينى جنى ظلمه * وبت ظمآن ولم انقع

عاقرني يشرب من مهجتى * ريا ويسقيني من أدمعى

وقال الشريف البياضى

ألفت الضنى لما تطاول مكثه * فلوزال عن جسمي بكته الجوارح

ولذّ سهاد الليل عندى وإنه * لمرّ وطاب الدمع لى وهو مالح

قلت لايقال مالح الا في لغة رديئة والفصيح مانطق به القرآن العظيم في قوله تعالى « وهذا ملح اجاج »

وقال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي

فسرت ولى من قاني الدمع قهوة * أشعشعها صرفاً على نغمة الحدا

وقد كان دمعي فائضاً يوم بينهم * فقد غار لما أن راي الركب أنجدا

وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح

أن فاض سيل فقل أجفانه ذرفت * أولاح برق فقل قلب له خفقا

وكم شرقت بدمعى عند ذكركمو * من يشرب الدمع معذور إذا شرقا

ولما سمع بعضهم قول أبي تمام

لاتسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكائى

جهز اليه كوزا وقال ابعث لى قليلا من ماء الملام فقال ابو تمام حتى تبعث لى بريشة من جناح لذل وما ظلم من جهز اليه الكوز فانه استعار قبيحا وأسوأ من ذلك أنه مثله بجناح لذل واستعارة الخفض والجناح للذل في غاية الحسن وقال ابو بكر الخوارزمى

وعذبني في الحب لابل رحمتى * بتعريفي الدمر الخؤون الخاتلا

ومافيك ربح غير أني ربما * مزجت حمياً الكاس بالدمع هاطلا
وإن مزاجاً فيه بعض لقائم * عليّ بأعلى السفر لو كنت عاقلا
لعمري لئن حاولت ربحاً على الهوى * لقد رمت شيئاً يعجز المتناولا

وقال الشهاب محمود

ما لشمس الانس عندي بعدما * غربت أقماركم من مطلع
لاولالي في حياتي بعد أن * يتمادي بي النوى من مطمع
مطربي وجدي وأنسي ذكركم * وهو راحي وكؤوسي أدمعي

وقلت انا في ذلك

عادني الحب حليف الجوى * وطار نومي وفؤادي معاً
أشرب من دمعي إعلى أنني * وياظما من يشرب الأدمعا

﴿ الباب السادس عشر ﴾

(فى انه ملح اجاج)

قال مهيار الديلمى

مذ أرقص البين المشتّ ركاب من * أهوي وغنت للفراق حداته
قبلت مبسمه بدمعي فالتقى * عند الوداع إجاجه وفراته

وقال أيضاً

حمى الله عينا من قذاها على الحمى * تجف ضروع المزن وهي حلوب
إذا قلت أفنى البرق جمة مائها * براها مرور الريح وهي جنوب
وما خلت قبلي أن عيناً ركية * ولا أن ملح الساقين شروب

وقال ابن المعلم

كالغيث دمعي ولكن طعم مشربه * ملح وطعم مذاق الغيث سلسال

وكالهوي زفرتي لكن لنسمته * برد ومن زفرتى حر وإشعال

﴿ الباب السابع عشر ﴾

(فى جريه على الخدود وترقرقه)

قال ابن النبيه

ترزع عيناي على خـده * ورداولاأجنى الذي أزرع
جنت به عيني فاءنسانهـا * مسلسل أغلاله الأدمع

وقال ايضاً

وسنان حوري الصفات كانه * ملّ الجنان ففرّ من رضوان
جنت بمنظره البديع عيوننا * فتسلسلت بمدامع الاجفان

وقال ايضاً

ضل الكري عن جفون مقلته * فدمعه عنـه لم يزل سـائل
ما سـح في الخد طرّ أدمعـه * إلا وأضحى خصيبه ماحـل

وقال ايضاً

كاتب قده إلي الخط يعزي * بارع فى فنونه لايبـارى
خدمته روحى فأطلق لى من * ناظر الدمع جاريا مدراراً

وقال ابن الساعاتي

من كان يشكو من قساوة قلبها * فشكيتي ما رق من وجنـاتها
وشكت دموعى المطلقات فوقعت * بجفونها تجرى على عاداتهـا

ومن هنا أخذ بعض المتأخرين قوله

لقد طالعت من أهوي بحالي * فوقع لي على ماكان يُجري
وأطلق جاريا لي دمع عيـني * فأصبح راتباً لى مسـتمراً

وقال ابن النقيب

كم رفع الدمع له قصة * يذكر فيها بعض إبهانه
فوقع العشق على ظهرها * يجرى على عادة إجرانه

وقال ايضاً

وكانت جهاتي فضة بوصالكم * فغيرتمو ماكان منها مقرراً
ورتبتمو من أدمعى لي جاريا * وأطلقتموه جاريا متوفراً

وقال آخر

وقع لي لما رأى قصتي * أشكو لهيب النار من وجنته
فرامه يبقى على حاله * ودمعه يجري على عادته

قلت وهذان البيتان مع لطفهما وظرف تركيبهما فيهما من عيوب القافية السناد وهو أن يكون أحد البيتين مؤسساً والآخر غير مؤسس والتأسيس هنا حرف الالف. والدال يسمى حرف الدخيل كأن هذا الحرف دخل بين حرف التأسيس وحرف الروي وقال عبدالظاهر

قل لعيني طيف إلفك ساري * فتباهى له ولو بعواري
فتهيّت لقربه وتهادت * من دموع إليه بين جواري
يتسابقن خدمة فتراهنّ لديها كالدرّ اوكالدراري

وقال ابن التلمساني

أفدي عُرُباً بوادى الجرع * ياوحشة ناظرى لهم في الربع
لما بحثوا عندى في فرقتنا * انشأت لهم مسائلا من دمعي

قلت مسائل هنا أحد معنيها هو موضع مسيل الماء ويجمع على مسيل بضم الميم وسكون السين شبهوه بفعيل كما قالوا رغيف ورغف وارغفة ورغفان ومسيل هو أيضاً مفعل لانه من سال ومفعل لايجمع

على ذلك ولكن شبهوه بفعيل وقال القاضي الفاضل

أشكو إليك جفوناً عينها أبداً * عين تترجم عن نيران أحشائي
كأن إنسانها وافي بمعجزة * فكان من أدمعي يمشي على الماء

وقال شهاب الدين ابن التلعفري

أءخا الغزالة والغزال ملاحة * وصباحة هاقد بقيت كما ترى
كم ذا التساله في الهوى عن حالتي * دمعي يفيض وانت تسأل ماجرى

وقال أيضاً

ولكم لهوت بمن بكى في منزل * حتى بكيت منازلا وربوعا
بمدامع لو أن جعفرها له * فضل لأنبت في الخدود ربيعا

وقال علاء الدين الوداعي

لي من الطرف كاتب يكتب الشو * ق إليكم إذا الفؤاد أمله
سلسل الدمع في صحيفة خدي * هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

أخذه من قول القائل

سبق الدمع بالمسيل المطايا * إذ نوى من أحب عني رحيله
وأجاد السطور في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

وقال عفيف الدين التلمساني

لك ناظر أبداً لحاجبه * يشكو ظلامة ميلة القد
ويعارض لما اعترضت رأى * إطلاق جاري الدمع في نقد

أرسل الصاحب زين الدين الى السراج الوراق هذين البيتين

أهدى له البرق من أحبابه خبراً * فبات ناظره يستعذب السهرا
وحدثته نسيمات الصبا سحراً * فلا تسل عن حديث الدمع كيف جرى

وأمره بالزيادة عليهما فقال بديهاً في جملة أبيات

جاءت مخبرة عنهم معطرة * منهم وطيب شذاها أوضح الخبرا
هيهات أن يجمع المشتاق منذ نأوا * جنباً لمهد ولا جفنا لطيب كرى
يامنزلا بالحمي حييت من وطن * كم بلغتني أيامي به وطرا
لجادك الغيث أنى يوم بينهمو * أفنيت دمعي وقد أوصي به الخبرا

وقال ايضاً

كلف مالدمعه منذ تولوا * وقفة بعد وقفة التوديع
لاتسل عن مسلسل الدمع واسأل * عن فؤاد يوم النوى مصروع

وقال ايضاً

ياغنيّ الحسن دمعي سائل * فتصدق قال لمْ لا تقف
قلت ماأعرف ما أوجب ذا * قال قد أسأل عما أعرف

وقال ايضاً يرثي

مافي الرزايا مثلها فأمثلا * وأقول أذكرني الأخير الأوّلا
ولقد أجن إذا ذكرت مصابه * فأريك دمعي في الخدود مسلسلا

وقال ايضاً

ان أحال الثرى محاسنك الغرّ وأبلى فعز من لا يحول
ماجرى اليوم من دموعي على خدّي قليلاوذا عليك قليل

وقال تقي الدين السروجي

أيا بدرتم حان منه طلوعه * ويا غصن بان آن أن تتعطفا
كفى ماجرى من دمع عيني بالبكا * وعشقي على قلبي جرى منه ماكفى
تقدم شوقي يسبق الدمع جارياً * اليك ولكن عنك صبري تخلفاً

وقال جلال الدين القوصي

أقول ودمع عيني ليس يرقا * ولي من عبرتي إحدى الوسائل

حرمت الطيف منك بفيض دمعي * فطرفي منك محروم وسائل

وقال آخر وأحسن

وحياة طلعتك التي يا بدر قد * بخلت على عشاقها بطلوع

ما السائل المحروم إلا دمعي الـ * ـمبذول في إحسانك الممنوع

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

رميت بمهجتي جمرات شوق * ولم تأخذك بالمشتاق رأفه

فهرول دمع عيني فوق خدي * وما حصلت له مع ذاك وقفه

وقال البها زهير

رويدك قد أفنيت يا بين أدمعي * وحسبك قد أحرقت يا شوق أضلعي

إلى كم أقاسي لوعة بعد لوعة * وحتى متى يا بين أنت معي معي

وقالوا علمنا ما جرى منك بعدنا * فقلت ظلمتم ما جرى غير أدمعي

وقال شهاب الدين محمود

تناديتمو عند الأصائل بالسرى * سحيراً فلبّاكم على عجل قلبي

وخلفتمو المضني على وصف دمعه * غراماً فقل ما شئت في الصب والصب

وقلت أنا في ذلك

إن لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل

وانظر إلى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف يا سائل

وقلت من أبيات

إنّ عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى

بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

وقلت أيضاً

قولوا لأقمار بخلـ * ـن على المعنّى بالطلوع

ماجنّ ليلى بعدكم * الا تسلسل بالدموع

وقلت أيضاً

وحق الهوي ماحلت عن سنن الوفا * ولم ينقلب مني الى سلوة قلب
وما انا غر بالصبابة والهوي * فأنكر دمعي سائلا واناصب

وقلت ايضاً

تجلت محياها وخافت رقيبها * فأرخت عليها من ذوائبها سجفاً
محياً رآه الصب للحسن جامعاً * فأجري عليه من مدامعه وقفا

وقلت أيضاً

قدأذاب الفؤادبالوجدحتي * رق ممابه العدى والأسى له
وكأنى به تخيل دمعى * أنه قد أساله فاساله

وقلت أيضاً

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم * وسكن منا أنفساً وخواطرا
جعلنا ابتذال النفس شكران قربكم * وقلنا لدمع العين يعمل ماجرى

وقلت أيضاً

والطرف ماخاط لى جفناً على وسن * وإن أغمّض فهدب العين كالابر
وأدمعي لو رأوها في تدفقها * تحققوا ماجرى منها على بصرى

وقلت أيضاً

قد قات لما قيل دمعك هكذا * يجرى ولم تظفر بوصف يؤثر
دمع يكون على المحاجر سعيه * بالله قل لى كيف لايتغيّر

وقلت أيضاً

أشكو إليك محاجراً * قد قاطعت سنة الكرى
ومدامعا أطلقتها * وغفلت عما قد جرى

وقلت ايضاً

أمير حسن خطا والرمح في يده * فهزَّ في قتله العشاق رمحين
أقطعته مهجتي فازور من غضب * وقال زدني البكا نقداً من العين

وقلت أيضاً

أسكنت شخصك طرفي * حتى أواري أواري
لحين جاورت دمعي * جعلت جارك جاري

وقلت أيضاً

لي أضلع تحني على جمر الغضا * وما الشرار غير قلبي الطائر
ومقلة تغيرت دموعها * لانها تجرى على محاجرى

وقلت أيضاً

رفعت له في شرح حالي قصة * وقد كتبت عيني على طرسها اسطرا
فلما رآها قال لي وهو ضاحك * متى كنت يامسكين من جملة الأسرى
وأوصى بجسمي أن تعفى رسومه * فقلت له دمعي فوقع أن يجرى

﴿ الباب الثامن عشر ﴾

في مباكاة الحمام

قال ابن المعلم

وصادحة في الأيك كم أججت لها * لظى طالما أزكته في قلبه الورق
بكت طرباً فانصاع يبكي تشوقاً * فدمعتها زور ودمعته حق
زوى الآن ياورقاء نوحك إنما البكاء لمن من دمعه يخجل الودق

وقال محمد بن عبد الملك من شعراء تحفة القادم

جلت عن ثناياها فأومض بارق * فأضواء ماشق الدجنة منهما

وساعدني جفن الغمام على البكا * فلم أدر وجداً أينا كان أسجما

وقال ابو بكر بن زيد الكاتب

قد طارحته حمام الأيك نغمتها * حرفاً بحرف فيحكيها وتحكيه

وساجلت عبرات السحب عبرته * إذا يفيض فيبكيها وتبكيه

وقال ابن المعتز

وبكيت من طرب الحمائم غدوة * يدعو الهديل وما وجدت سميعا

ساعدتهن بنوحة وتفجع * وغلبتهن تنفساً ودموعا

وقال السراج الوراق

ألا قاتل الله الحمامة إنها * اذابت فؤاد الصب لما تغنت

أطارحها شكوى الغرام وبثه * فما صدحت الا أجبت بأنتي

كلانا بكى شوقاً ومعتبر الهوي * يفضلني عنها بفائض عبرتي

وان قيل لا يبلى على الدهر طوقها * كذلك لا تبلى عهود أحبتي

وقال أيضاً

أفنى حمام الواديين مدامعي * حتى غدا بدمي خضيب بناني

ومواثق الأحباب في أعناقه * ثبتت خلاف مواثق الخوان

هذا وما عاني هواي ولا له * دمعي الطليق ولا فؤادي العاني

وقال أيضاً

ما كان يخفى وميض البرق مبتسما * ولا الحيا في انسكاب الدمع يحكيني

هيفاء تستنطق الورقاء قامتها * فلم تزل بين تحنان وتلحين

ولي حنين إليها كلما هتفت * وطالما حن محزون لمحزون

ما كان دمعك ياورقاء محتبساً * لو بات يبكيك وجدا بات يبكيني

﴿ الباب التاسع عشر ﴾

﴿ في سقي الديار به والمنازل ﴾

وقال ابن المعلم

ولقد زجرت الدمع عن تسكابه * فيه فقال وقد أحب خلافي
دعني أروّى الربع بعد رحيلهم * فأحق سكبي في محل عافي

وقال أيضاً بكيته وهل رأيتم طللا * قبل وقوفي فيه يبكي طللا
عليَّ أن أمطره دمعي وما * عليَّ أن جاد الحيا أو بخلا

وقال مجد الدين بن منقذ

يادمع أنجدني فهذي دارهم * ولها ادّخرتك والذخائر تنفع
وأقل حق منازل الاحباب أن * يسجى بها قلب وتسفح أدمع

وقال ابن الساعاتي

قف معي وقفة الشجي فإن لا * مك خلّ فاجعل عليَّ الإحاله
في سبيل الغرام يامنزل الحـي * تولى مدامعي الهطاله
كفل الدمع ريّ سفحك والدمـ * ـع مليّ بعد النوى بالكفاله

وقال الأرجاني

رميت محيا دارهم عن صبابة * بسافحة الاجفان سافحة القرب
أروّى بها خدّى وفي القلب غلة * وقد يتخطى الغيث أمكنة الجدب

وقال آخر

نزلوا جبال تهامة فلأجلهم * يهوى الفؤاد تهامة وجبالها
ياصاحبيّ قفا عليَّ بقدوما * أسقي بوابل عبرتي أطلالها

وقال السراج الوراق

مهما جرى ذكر الخدود فإن لي * جريان دمع كالخدود مورّد
حق المنازل حق من كانوا بها * فانقع بدمعك غلة الرسم الصدي

وقال أيضاً

بكى بعدكم ربعاً أجاد معيفه * بسائح من سحب الجفون ربيعا
وإنّ قصاري كل صب بكاؤه * منازل من اهلي خلت وربوعا
بكت دمناً دون العقيق جفوننا * دما وبكاها العاشقون دموعا

وقال ايضاً

لي لا لدمعي وقفة في المنزل * عنها التجلد والسلو بمعزل
ولأدمعي والغيث في عرصاتها * شوطان للوسمي فيها والولي
وعليّ أن أعطي المنازل حقها * حفظاً لعهد الظاعن المتحمل

قال شهاب الدين محمود

هل يعلم النائون في طلب الحيا * أن الدموع وفت بري ديارهم
أو أيقن الساري بأن حداتهم * جعلت دموعي في رؤوس قطارهم

استعمال القطار هنا في غاية الحسن وكذلك استعمله البدر يوسف الذهبي فقال

كم رفعت للعين يوم رحيلهم * كلل غدت بمنطق ومكلل
ولكم سبقت حداتهم بمدامعي * حتى جعلت قطارها في الاول

وقال شرف الدين ابن الفارض

إن ينقضي وجدي فليس بمنقض * وجدي القديم بكم ولا برحائي
ولئن جفا الوسمي ماحل تربكم * فمدامعي تربو على الانواء



﴿ الباب العشرون ﴾

﴿ في كثرته وجود العين به ﴾

وقال ابن سناء الملك

وشاربة خمر الدلال فدهرها * يغفى عليها حلمها وهي تشرب
أخوض دموعي وهي تضحك غفلة * وإني وإياها نخوض ونلعب

قال ابن التعاويذي

عليل الشوق فيك متى يصح * وسكران بحبك كيف يصحو
وبين القلب والسلوان حرب * وبين الجفن والعبرات صلح
ولما فل جيش الشوق صبري * وغادر در دمعي وهو سفح
ولم أملك إلى الشكوى سبيلا * كتبت اليك والعبرات تمحو

وهذا يتضمن معنى قول الباخرزى

كتبت إليك والعبرات تمحو * كتابي بالأنين وبالزفير
ويشهد لى على مافي ضميرى * سطور الدمع مابين السطور

وقال ابن قزل

أما الرقاد فلست أعرف طعمه * ماحال طرف خانه طعم الكرى
وسألت دمعي أن يزيد فقال لى * ياظالماً أوما كفى ماقد جرى

وقال أيضاً

أخفاه قلبي غيرة أن لايرى * في غيره وحنى عليه أضالعي
لم أنسه يوماً فأجري ذكره * ولطالما ذكراه أجرت أدمعي

وقال ايضاً

ياجيرة الحي من جرعاء كاظمة * طرفي لبعدكمو ما التذ بالنظر
لاتسألوا عن حديث الدمع كيف جرى * فقد كفى ماجرى منه على بصرى

وقال الأرجاني

رأيت أعجب من قلبي وعادته * إذا الكرى خاط أجفاناً بأجفان
يظل يطلق أسري الدمع من كرم * في وجنتي وهو في أسر الهوى عاني

وقال ابن رشيق

كنا وكان لنا زمان صالح * لكنما الايام ذات تقلب
ما أكرم العبرات معلوم المدى * إذ ليس تحوجني إلى قول اسكبي

وقال مهيار الديلمي

وما أربي إلى سقيي ربوع * لها من مقلتي سار وغاد
حملت يد السحاب الجون فيها * ولست معوداً حمل الايادي
فلو بكت السماء لها وجفني * تبينت البخيل من الجواد

وقال أيضاً

تعيب على الشيب خنساء اذ رأت * تطلع ضوء الفجر تحت هزايعي
وما شبت لكن ضاع مما بكيتكم * سواد عذاري في بياض دموعي

وقال أيضاً

بعداً ليومك في الزمان فانه * أقذى العيون وفتت الاكبادا
لاينفد الدمع الذي يبكي به * إن القلوب له من الامداد

وقال ابن صردر

مامر ذو شجن يكتمه * إلا أقول متيم مثلي
فضلت دموعي عن مدي حزني * فبكيت من قتل الهوى قبلي

وقال البدر يوسف الذهبي

تولى وعاد ولي مدمع * إذا ماسألت الحمى عنه سالا
نخل تخلى وعصر خلا * وخل تولى وعصر توالى

وقال الشريف البياضى

إن في طرفي دموعا جمة * جاز في الجود بها حد السرف
فاذا أنفقتها في فرقـة * عجل الشوق عليها بالخلف

وقال علاء الدين الوداعي

مثلى وقد فارقت صورة يوسف * وهو العزيز على الذليل الوامق
أبكيه كل جوارحى فكأننى * قد عدت مخلوقا بمـاء دافق

وقال البدر يوسف الذهبي

قلب بعين قد أصيب وعارض * فأعده لي بالدمع ليس براق
ألقى الدموع على الدموع وليتني * أدرى بمـا ألقى بها وألاقي

واستعملها محاسن الشواء فقال

ولمـا أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهمو إلا للحمي قارض
وقد بهتوا لمـا رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ولكن أخرج ذلك مخرج القول بالموجب وكساه ديباجة أخرى وقد قابلها البدر يوسف بقوله « فالدمع ليس براقى » فاستويا في طبقة البديع

وقال الارجانى

وأكثر من لمع اليدين مفتحا * لدمعي طريقا طيفهم كان سده
مدامع سيل بين أجفان مغرم * إذا حار منها خدد الدمع خده

وقال السراج الوراق

حمي قومها عني طروق خيالهـا * وهيهات سد الدمع من دونها السبلا
وأين الكرى مني وقد ذهبت به * فمـا تركت ماقل منـه وما جلا
جرت أدمعى وبلا غداة وداعها * ومقلتها الوطفاء ماقطـرت طلا

قلت ما أحسن ذكر الوطفاء ههنا لانها من صفة الديمة الماطرة دائما يومين

وثلاثة • وقال شهاب الدين محمود

أحبابنا إن كنت بنت فشخصكم * فى ناظري وذكركم فى مسمعي
أوحشتمو طرفي القريح فما له * من بعدكم أنس بغير الأدمع
وعدمت بعدكم المساعد فى الهوى * إلا الحمام فانه يبكى معى

وقال ابن النقيب

لو رأت عين عروة بن حزام * أدمعى عند مانحل عراها
أقسمت ماالغمام يوما ولا النيـــل لدي الصب جاريا مجراها

وقلت أنا في ذلك

أراد الغمام إذا ماهمي * يعبر عن عبرتي وانتحابي
فجادت دموعي من فيضها * بمالم يكن فى حساب السحاب

وقلت أيضا

توقد جمر القلب عند تغزلى * فمن أجل هذا قدأتى جيد السبك
فما حفظت عيناي من شؤم بختها * على كثرة الاشعار غير «قفانبك»

وقلت أيضا

يذوب فؤادي عند رؤية وجهه * وكم ذاب من شمس النهار جليد
وبجبابه وجدى وحزني خالد * كما أن دمع المقلتين يزيد

وقلت أيضا

قلبي لايروى ولا مقلتى * ترقا فذى عين وهذاك صاد
وكيف يدرى النوم من جفنه * يذري دموعا مالها من نفاد



﴿ الباب الحادى والعشرون ﴾

﴿ في أنه كالمطر ﴾

قال ابن التعاويذى

وبنفسي الغضبان لايرضيه غيـــــر دمي وما في سفكه من طائل

عانقتــه أبكى ويبسم ثغره * كالبرق أومض من غمام هاطل

وقال أيضا

فبتّ وجدا بهــا أقابها * على فؤاد بالشوق منفطر

كدت بنار الغرام أحرقها * لولا دموع تهل كالمطر

وقال آخر فأحسن

أبصروا دمعى فخافوا * قلت لاتخشوا بكائي

ماعليكم من دموعى * غــير أمطار السماء

وقال الارجاني

إن يغش قلبي وطرفي نازلا بهما * فالقلب والطرف كلٌّ منزل القمر

أو يطرق الطيف عيني وهي راقدة * فالبدر في الغيم يسرى وهو ذو مطر

أخذه ابن الساعاتي فقال

وأغن ماضرَّ الصبا * لو أنها حملت سلامه

فأغالط الواشي بنشــــر الاقحوانة والثمامه

إن حل طرفي طيفه * فالبدر يسري في غمامه

وقال جحظة البرمكي

ومن طاعتي إيّاه أمطر ناظري * إذا هو أبدى من ثناياه لى برقا

كأنّ دموعي تبصر الوصل هارباً * فمن أجل ذا تجرى لتدركه سبقا

والاول يشبه قول القائل

جارية طالما خلوت بها * تبصر في ناظري محياها
تبل خدي كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

قال بعض المتعصبين هذه كانت تبصق في وجهه وقال التلمساني

هلال في التباعد والتداني * غزال في التلفت والنفور
أعاين من محاسنه ودمعي * طلوع الشمس في اليوم المطير

وقال ابن سناء الملك

زار الحبيب وبدر التم في كمد * باد عليه وغصن البان في قلق
يمشي على خد من أهوى وأدمعه * تجري فسبحان منجيه من الغرق

وقال أيضاً

إن الذي يضحك من أدمعي * وهي عليه أبداً تسفك
قد صح عندي أنه روضه * والروض من دمع الحيا يضحك

وقال شهاب الدين ابن التلعفري

ما كان قلبي خانني من بعدهم * يوم النوى لو خلفوا قلبي معي
ما كان أخصب أرضهم لو أنها * تسقى اذا ظمئت سحائب أدمعي

وقال سعد الدين محمد ابن عربي

ألا يا أيها الداعي ترفق * فقد آذى أذانك كل سمع
ألم ترني وحبي في اجتماع * فأخر ذا الأذان لأجل جمع
فقال الجمع في مصر حرام * فقلت أما ترى أمطار دمعي

قلت لا يلزم من الجمع تأخير الأذان لمن كان في مصر جامع لأن التأذين إعلام بدخول الوقت للناس وفيهم من لا يجوز له الجمع ففي هذه العبارة تجوز وقال أبو الحسن بن مطرف

إن شبها في طرفي لوعـة * بكى لها من طرف مدمع
فهو لقلبي شرر محرق * وهو بجفني ديمة تهمع
أخذه من قول أبي جعفر بن البنا
كأن فؤادي وجفني معاً * هما طرفا غصن أخضر
إذا اضطرم النار في جانب * يقطر من جانب آخر
وفي هذا المعنى المأخوذ زيادة وهي صحة لتمثيل من أنواع البديع وقيل
أظهر الكبرياء زهواً وتيهاً * فتلقته بذل الخضوع
وحباني ربيع خديه بالور * د فأمطرته سحاب دموعي
ومن هنا أخذه شهاب الدين بن دمرطاش فقال
ولقد يقول معانقي وخدوده * تسقى بطل مدامعي وحياها
ما بالها تسقى رياض محاسني * عيناك قلت لأنها ترعاها
قلت فيه الاضمار قبل الذكر اذ التقدير ما بال عينك تسقى بأرض محاسني
وكان ينبغي أن يقول لأنهما يرعيانها ولكن يغتفر له ذلك كله لاستعمال
ترعاها موراة من الرعي والرعاية وقال الحسين بن علي البغوى
وبرقها نار شوقي ريحها نفسي * ورعدها أنتي والقطر فيض دمي
وأرضها صحن خدي وهي ممحلة * أعجب بمحل يرى من صيب الديم
وقلت أنا
ولما بكى طرفي وثغرك ضاحك * تعجب منا عند هذا الخلائق
ولم يرضهم من بعد عيني سحائب * ولم يصبهم من بعد ثغرك بارق
وقلت أيضاً
تبسم اذ بكيت فلام فيه الـ * ـعذول فقلت قد ضيعت نصحك
فلم تر بعد عيني السحب تبكي * ولم أر بعد فيه البرق يضحك

وقلت أيضاً

آهاً من البعد آهاً إن لي كبداً * تضرّمت بلظى الاشواق واستعرت
وأدمع إن جرى ذكر الوصال جرت * شؤونها فتخال السحب قد هطلت

﴿ الباب الثاني والعشرون ﴾

في انه كالنهر

قال البدر يوسف الذهبي

رفقاً بصب مغرم * أبكيته صداً وهجرا
وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

وقال الارجاني

بيضاء لما أن منعت وصالها * وبدت بدوّ البدر وسط سمائه
أترعت في حجري غديراً للبكا * لعسى يلوح خيالها في مائه

وقال سيف الدين المشد

سهرت فيكم جفوني * من غرامي وشجوني
وجرى من عيني الدمــع كأمثــال العيون

عجبت لها تنأى جفا وخيـالها * يـلم اذا جـن الدجى ويزور
ولي عند زور الطيف من طيب نشره * ومن فيض دمعي روضة وغدير

وقالت حمدة الوادي آشية

ولما أبي الواشــون الا فراقنا * وما لهمو عندي وعندك من ثار
وشـنوا على أسماعنا كل غارة * وقلت حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهمو من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

ومثله قول الارجاني

فلا تعجبوا للسيف والسيل واعجبوا * لاجفانه الوسنا ومقلتي العبرا
وإن بان قمري وانكساري لبينه * فمن قيصر عند اللقاء ومن كسري
وأحسن منه قول القائل

مليك الحسن أحي في المحيا * ملوكا في نعيم وانتعاش
فكسري في الجفون ووجنتاه * بها النعمان والخال النجاشي

وقال عمارة اليمني

عاهدت دمعي أن يقرّ فخانني * قلب لسائله الهموم قرار
قد كنت أشرق من رذاذ مدامعي * أسفاً فكيف وقد طمى التيار

وقال شيخ الشيوخ

غرامي فيك لايحصى * بميزان ولا كيل
وأما دمع أجفاني * فلا تسأل عن السيل

وقال جلال الدين اسماعيل القوني

أقول ومدمعي قد حال بيني * وبين أحبتي يوم العتاب
رددتم سائل الاجفان نهراً * تعثر وهو يجري في الثياب

وقال شهاب الدين محمود

يابدر في وجه من أشبهت طلعته * لافيك يحلو لي التعذيب بالسهر
ياروضة طالما أمطرتها سحراً * دمعي فأصبح في رجائها نهرا

وقال أيضاً

أحبابنا إن نأت بي عن دياركمو * داراً وفارقت أوطانا وأوطارا
فإن لي نصب عيني من جمالكمو * روضاً نضيراً ومن عيني أنهارا

وقال ايضاً

سخوا بروحي وشحوا بالوداع على * عيني فما زوّدوها منهمو نظرة

ونم قلبي إلى طرفي بما كتموا * عنه فسار على آثارهم وجرى
بانوا فصوّح نبت الروض حين نأوا * هذا وقد خلفوا دمعي به غُدُرا

وقال ايضاً

عن قريب الدار إلا في الكرى * فاعذرا قلبي إذا ما انفطرا
لاتلوماني إذا أجرت لظى * حُرقي من ماء عيني نهرا
فالذي قد راعني اليأس به * يقتضي أكثر مما قد جرى

وقال ابن سناء الملك

عوضني بالبعد عن قربه * ومن رقادي معه بالسهر
انا من ذكراه في جنة * ومن دموعي بعده في نهر

وقلت أنا في ذلك

خذ لطرفي من السهاد أمانه * إن رأيت الحمى فهذا أمانه
ثم قل إن رأيت أحمر دمعي * قد جرى سابقاً يكف عنانه
لاتخل مدمعي وفي لغرامي * إن هذا الوفاء عين الخيانه
راح يجري على ضفائر خدي * فهو يحكي نهراً وشاذروانه
قد رأينا الدموع تجري ولكن * ما رأينا السحائب الهتانه

﴿ الباب الثالث والعشرون ﴾

في انه كالبحر

قال ابن الساعاتي

وما قطع الطيف الزيارة عن قلى * ولكن دمعي لايخاض له شط
فلا تعذلوني في البكاء فلم تزل * لكل هضيم الكشح من أدمعي قسط

وقال ابن قزل

أخضر العارضين بتّ بعينيـــه كلما لا أستطيع اصطبارا
من دموع العيون ألقيت في الـــيم و آنست من ضلوعي نارا

وقال أيضاً

غرق النوم في بحار دموعي * رحم الله سلوني وهجوعي
وأتى الطيف زائرا فرآني * بين بحري مدامعي ونجيعي

وقال ابن نفاده

وفاض دمعي ففاق السحب وابله * شوقا وأودع جسمي ذكركم وصبا
لو حل نوح بجفني خاف من غرق * أو الخليل بقلبي لاشتكي لهبا

وقال ابن قلاقس

وضيف طيف رده مدمعي * فساقه الفكر إلي خاطري
إن صد نيل الدمع عن سيله * فإنه جاء على الحاجر

وقال القاضي الفاضل

ولقد مررت بدار من أحببته * ليس التي للحب بين ضلوعي
فذكرت سبحي في بحار نداهم و * فوقفت أسبح في بحار دموعي

وقال الوأواء الدمشقي

يامن خلعت عذاري في هواه له * ومن تهتك ستري في محبته
علّمت إنسان عيني أن يقوم فقد * جادت سباحته في ماء عبرته

وقال أيضاً مكرراً هذا المعنى

دمع غريب جرى لغربته * أفرده البين من أحبته
إنسان عيني لولا سباحته * مات غريقاً في لج دمعته

وقد أخذه برمته ابن المعتز لانه قال

وجفون عينك قد نثرن من البكا * فوق المدامع لؤلؤا وعقيقاً

لو لم يكن إنسان عينك سابحاً * في ماء دمعته لمات غريقا

وقال الوأواء الدمشقي

وهاج لي الشوق أسى كامناً * فلم أزل أبكي على كل ميل
فكدت أن أغرق في دمعي * وأجعل الذنب ليوم الرحيل

وقال الشريف البياضي

توهم إنساني وقد خاض أدمعي * إلي وجهه أن في السباحة قد حذق
فلما رأى ماء الجمال بخده * وأقبل يبغي العوم في دمعه غرق

وقال جمال الدين بن مطروح

قيدت قلبي في هوا * ه فخف دمعي وانطلق
يامن يزاحم أدمعي * أخشى عليك من الغرق

وقال السراج الوراق

تؤجج جمراً مهجتي دون مقلتي * فما العذر إن لم تتبع الشهب الحمرا
وما لمت دمعاً خاض في لجة الدجى * وخاف بأن يجتاب من أدمعي البحرا

وقال أيضاً

أذبته مني ولي نفس كما * تدريه إن كنت امرءاً مشتاقا
فجرت دموعي خيفة الإحراق من * نفسي إلى أن خافت الإغراقا

وقال أيضاً

قلت للأجفان لو ذقت الكرى * حيلة في الطيف قالت لا أذوق
أين للطيف طريق والكرى * ماله من لجج الدمع طروق
لي قلب في إسار الحب قد * يبتني من شأنه دمعي الطليق

وقال شهاب الدين محمود

أسروا إلى ليلى سراهم فانجلوا * وبات كطرفي نجمه وهو حيران

كلما غريق في الدموع وفي لدجى * كأن دموع العين والليل طوفان

وقال ناصر الدين بن النقيب

ايهن أحبابي نيل وفى * ومفرد وفيّ به مؤذنا
ما النيل الا أدمعي بعدهم * كلا ولا المفرد إلا أنا

وقال شرف الدين بن الفارض

لله أجفان عين فيك ساهرة * شوقا إليك وقلب بالغرام شجي
وأدمع هملت لولا التنفس من * نار الجوي لم أكد أنجو من اللجج

وقلت أنا في ذلك

يا وحشتنا من جيرة مذ نأوا * علوّ قدري في الهوي انحطا
حكت دموعي البحر من بعدهم * لما رأت منزلهم شطا

وقلت أيضاً

أيا وحشتنا في ليل شوقي لنوركم * ويا فرحتا لوكان في النوم يطرق
وهيهات لو زار الخيال منعته * مخافة أن تجرى دموعى فيغرق

﴿الباب الرابع والعشرون﴾

(في أنه قرّح الجفون وخدد الخدود)

قال مهيار الديلمي

لعلك في الارسال للدمع لائم * وقد عطف الناس المطيّ الجوانحا
لم قد تخرّجت الدموع عليهمو * عذابا وأقرحت العيون الصحائحا

وقال آخر

قلبي وطرفي منزلان لأنه * قمر وتلك منازل الأقمار
يا ساكناً جفنى القريح وليته * يرعي لجارى الدمع حق الجار

وقال شرف الدين بن الفارض

أروح بقلب بالصبابة هائم * وأغدو بطرف بالكآبة هامى
طريح جوى حب جريح جوارح * قريح جفون بالدوام دوامي

وقال شهاب الدين الشاغوري

شؤون دمي ليس الصبر من شاني * سحي دماً لا تشحي بالدم القاني
فما أرى قادماً الا أراق دماً * بكاي حزناً ففي خدي خدان

وقال شهاب الدين محمود

صحب سلبوا نومي فلم تدر مقلتي * كما سلبوا قلبي ولم تشعر الأعضا
وطلقت نومي والجفون حوامل * فمن أجل ذا في الصحو أبقت لها فرضا

وقلت أنا في ذلك

سنت السهاد بمنع الكرى * فأظهرت فى حاله بدعتين
وصيرت تكرار دمي على * خدودي من فوقها فرض عين

وقلت أيضاً

مذ سل سيف الجفن خدت وجنتي * عيني بحمر دموعها والبيض
ياطرفه المسنون كف مدامعي * لك واجب عن خدي المفروض

وقلت أيضاً

ياغزالا فيه من الغصن ميل * وقضيباً فيه من الظبي نفره
لك عين سوداء قد جملت في * صحن خدي من دمع عيني نقره

﴿ الباب الخامس والعشرون ﴾

(في أنه أذهب العين)

قال ابن نقاذه

خفيت نحولا لا تراني عذلي * فلي ولسري عنهم في الهوى كتم
دموع ولا عين سقام ولا حشى * غرام ولا قلب نحول ولا جسم

وقال أيضاً

وناظر كان يجري دمعه دررا * فأذهب العين لما صار مرجانا
ماخلت أن جفوني مجريات دمي * من حيث إن لها بالدمع إدمانا

وقال أيضاً

أجرى دموعي اشتعال النار في كبدي * ولم تكن تتبع الأمواه نيران
لكنه آية نوحية ظهرت * فالقلب تنورها والدمع طوفان
والعين فضضها دمعي وأذهبها * بكاؤها ولآلي الدمع مرجان

وقال ابن سناء الملك

بكى ناظري بالنور من بعد دمعه * عليك وهذا حسبه فيك لا حسبي
ووالله ما وفاك حقك مدمعي * على أنه قد أنبت الأرض بالعشب

وقال أبو تمام الطائي

لست أبكي ذهاب عينيَ عني * غير أني أبكي لئلا أراكا

أخذه من ابن حبق النحوي وكان أعور فقد قال

صدودك عني ولاذنب لي * دليل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيت * خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة أن لا أراك * لما كان في تركها فائده

وقال الباخرزي

عجبت من دمعتي وعيني * من قبل بيني وبعد بيني
تبكي بعين بغير دمع * فصار دمعي بغير عين

أخذه الجلال بن صفار فقال

أبكي وتبكي الحمام لكن * شتان ما بينهما وبيني
تبكي بعين بغير دمع * أبكي بدمع بغير عين

﴿ الباب السادس والعشرون ﴾

(في أنه ذوب النفس)

ما أحسن قول أبي الطيب

أدمعي أم هي نفس جرت * وجوى أم هو نار ملهبه
هتكت مني أمارات البكا * ستر أسباب الهوى المحتجبه

وقال أيضاً

سائل شموساً طلعت في الثرى * وضمها مذ غربت مغرب
كم كبد في جسد حرّقت * ومهجة في دمعة تسكب

وقال أيضاً

إذا شاقني تذكار خدّ مورّد * أراقت جفوني دمعهن موردا
فلا تحسبوا ماء دموعي لبينكم * فقلبي بنار الهجر ذاب مصعدا

وقال ابن سناء الملك

أبكي فتجري مهجتي في عبرتي * فكأنما أجريته أجراني
وتجمّ أنفاسي ولما يجها * دمع هو البحران بل بحران

وقال الوأواء الدمشقي

أريّ الى رشداً في هواك وإنني * لأقنع بالشكوى الى غير مشتكي
وماذ كرتك النفس إلا تصاعدت * الى العين فانهلت مع الدمع بالبكا

وقال أيضاً

وسماء العيون إذ ذاك تسقي * بسحاب الجفون روض الخدود

وقال الارجاني

تراح بأنفاس إذا ما ذكرتها * وتمطر وجدا بالدموع السواكب
وليس بجارٍ مدمع العين بعدكم * بشيء سوى قلب من الشوق ذائب

وقال السراج الوراق

ولم أنس يوم البين للبين وقفة * أتت دفعة فيها الدموع الهوامع
وفي الكلة الحمراء وسمراء ودّعت * فسالت نفوس أرسلتها المدامع

وقال السراج أيضاً يرثي

فواعجباً من واثق بحياته * وجيش المنايا للرزايا مناز له
إذا بلّ من داء به ظن أنه * نجا وبه الداء الذي هو قاتله
ودمعي من جفني بنفسي سائل * على من مضى فليتق الله سائله

وقال شهاب الدين محمود

قد أبى الحظ أن يكون بصدع الـ * ـبين عود إليه يشعب صدعه
فأنا الآن بين شوق أذاب الـ * ـقلب مني فصار في العين دمعه
وسهاد رأى الرقاد يريني * طيفهم في الكرى فبادر منعه

وقلت أنا في ذلك

ولما بكت عيني نواك تعلمت * دموع سحاب المزن كيف تصوب
وإن جف دمعي ذاب قلبي أدمعاً * فلله قلب ذاب وهو قليب

وقلت أيضاً

إبيضت العين التي قد رأى * سوادها ذا خدك الأحمرا
وذاب قلبي فجرى أدمعاً * تغسل من جفني بقايا الكرى

﴿ الباب السابع والعشرون ﴾

(في طلبه من الرفاق وعاريته للعشاق)

قال مهيار الديلمي

يامعيرا أجفانه أنا أغنى * بجفوني الغزار أن أستعيرا
دمع عيني بالسفح خل لدار * لا يرى أهلها دما محظورا

وقال الشريف الرضى

ضاع قلبي فانشده لي بين جمع * عند بعض الظبي وتلك الحداق
وابك عني فطالما كنت من قبـ * ـل أعير الدموع للعشاق

وقال ابن المعلم

أقيموا بها ساعة للبكا * وقل لها أن يقيموا سنينا
وإن سمحت بالدموع العيو * ن منكم وإلا استعيروا عيونا

وقال صردر

وعين إلى الأطلال يرجى سحابها * إذا لوعة الاحشاء هب زفيرها
أكلفها هطلا على كل منزل * فلو أنها أرض افاضت بحورها
وما تجمع العين التوسم والبكا * فياليت أدري مقلة أستعيرها

وقال عمارة اليمني

بكيت بالدر تيجانا لملك صبا * مضى فدعني أبك التاج بالدرر
منذا يعيرك أجفانا لتوقعها * في قبضة الظالمين الدمع والسهر

وقال العباس ابن الاحنف

نزف البكاء دموع عينك فاستعر * عينا يعينك دمعها المدرار
منذا يعيرك عينه تبكي بها * أرأيت عينا للبكا تعار

وقال

حي كثيب الرمل رمل الحمى * وقف وسلم لي على لعلع
واسمع حديثا قد روته الصبا * يسنده عن بانة الأجرع
وابك فما في العين من فضلة * وتب فدتك النفس عن دامع

وقلت أنا في ذلك

ياصاحبيّ اسعداني بالدموع فقد * انفقت دمعي على ماناني سرفا
وأوقفاني على تلك الربوع فإن * قضيت فو لاقضيت الحق وانصرفا

﴿ الباب الثامن والعشرون ﴾

(في عدمه وجفافه)

قال ابن الخياط

وكنت إذاما اشتقت عوّلت في البكا * على لجة إنسان عين غريقها
فلم يبق لي من ذلك الحق رشحة * ومن كبدي الحراء إلا خفوقها
فياليتني أبقى ليَ الهجر عبرة * فأقضى بها حق النوى أو أريقها

وقال ابن حيوس

هو ذاك ربع العامرية فاربع * واسأل مصيفاً عافياً عن مربع
واستسق للدمن الخوالي بالحمى * غر السحائب واعتذر عن أدمعى
فلقد فنين أمام دان هاجر * في قربه ووراء ناء منزمع

وقال السراج الوراق

لما رأت عيني سطو * رك عاودت طيب الهجوع
وغدت مآقيها تقو * ل مع السلامة يادموعي

وقال أيضاً

ولما وقفنا للوداع عشية * تمانق حتى دمع عيني ودمعها
فليت النوى أبقى لدمعي بقية * ليبكي بها من بعد عزة ربعها

وقال شهاب الدين محمود

قاتل الله بريقاً بالحمى * أنفد الادمع واستسقى الغماما
غار من برق الثنايا فسقى * وجنة الصب ولم يسق البشاما

وقلت أنا في ذلك

أقول والدمع قدغاضت جواهره * ولم تلح فى سماخدى كواكبه
لو كان غيثاً وجفن العين يسفحه * من بعد بعدك لانجابت سحائبه

﴿ الباب التاسع والعشرون ﴾

﴿ في الاعتذار عن البكاء ﴾

قال بعض الشعراء

قالوا أرقد منذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري
ماحق طرف هداني نحو حسنكمو * أني أعذبه بالدمع والسهر

وقال الارجاني

سأضمر فى الاحشاء عنكم تحرّقا * وأظهر للواشين عنكم تجلداً
وأمنع عيني اليوم أن تكثر البكا * لتسلم لي حتى أراكم بها غداً

وقال مهذب الدين بن القيسراني

جرد البعد من جفوني سيوفا * ردها قرب داركم في الغمود
كان دمعي سقيط طل فلما * أشرقت شمسه ارتقي في صعود

وقال موسى بن سعيد المغربي

نهيت دموعيَ عند الوداع * ففاضت فظنوه شيئاً يريب

وما ليَ أشغل عيني بما * يكون حجاباً لوجه الحبيب

﴿ الباب الثلاثون ﴾

﴿ في الافتخار به ﴾

قال ابن المعتز

ياجفون السحاب دمعك يفني * عن قليل وما لدمعي فناء
أنا أبكي هوى وتبكين كرهاً * ودموعي دم ودمعك ماء

وقال ابن المعلم

إليك عن كل قلب في أماكنه * ساه وعن دمع كل في مآقيه
ما واجد الصبر في المغني كفاقده * وجامد الدمع في المعنى كجاريه

﴿ الباب الحادى والثلاثون ﴾

﴿ في الضحك بدلا من البكاء ﴾

قال بعض الشعراء

ولربما ابتسم الكريم على الاذى * وفؤاده من حره يتأوه

وقال الكلابي

أبدى الخلائق للاعداء طيبها * مني وأقسر نفسي غير مقسور
وأترك الامر إلا في تأهبه * حياً وأضحك منه غير ميسور

وقلت أنا في ذلك

رحت يوم الفراق أضحك حزناً * ولفيض السرور يبكي المروع
وكذا في اللقاء أبكي هناءً * ولفرط السرور تهمي الدموع

﴿ الباب الثاني والثلاثون ﴾

﴿ في البكاء بدلا من الضحك ﴾

قال بعضهم

كذبت مقلتي فيم قذفوها * شهدت في الهوى شهادة زور

لا تظنوا دموعها رسل حزن * قد تكون الدموع رسل السرور

وقال العفيف التلمساني

أنا منكمو في روضة وربيع * مادمت أشهد حسنكم بجميعي

وأنا الطروب وإن بكيت فربما * بوصالكم أجري السرور دموعي

وقال آخر في وصف شمعة

وصفراء مثل التبر مثلي جليدة * على نوب الأيام والعيشة الضنك

فلو أنطقت يوماً لقالت أظنكم * تخالون أني من حذار الردي أبكي

فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته * فقد تدمع العينان من شدة الضحك

وقال آخر

عظم السرور وزاد حتى أنه * من عظم ما قد سرني أبكاني

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وقال الأسعد بن مماتي

ما صبرت أجسر أن أبكي لفرقتهم * لأنهم زعموا أن البكا فرح

وقال ابن دريد

تبسم المزن فانهلت مدامعه * وأضحك الروض دمع الضاحك الباكي

وغازل الشمس نور ظل يلحظها * بعين مستعبر بالدمع ضحاك

﴿ الباب الثالث والثلاثون ﴾

﴿ في أنه تبسم ﴾

قال الرمادي

ولم أر أحلى من تبسم أعين * غداة النوى عن لؤلؤ كان كامناً

وقال بعضهم

ولما فشى بالدمع من سر وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بإمساك الدموع جفوننا * ليسجي بما نطوي عذول ولائم
أري دمعنا يجري مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوي منا عيوناً كريمة * وتبسم حتي ما تروق المباسم

وقال ابن سناء الملك من هذا المعنى

رأيت طرفك يوم البين حين همى * ذا الدمع ثغر وتكحيل الجفون لمى
أكفكف ملامك عني حين لثمه * فما تشككت أني قد رأيت فما

وقال ابن ظافر

متلونين على شواهد حبهم * فالعين تعطرهم بذي ألوان
ولو أنه ماء لقالوا دمعه * ثغر وجفناه به شفتان

وتشبيه الدموع باللؤلؤ أكثر من أن يحصى ومنه قول القائل

ولما وقفنا للوداع وطرفها * وطرفي يبثان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي * عقيقاً فصار الكل في نحرها عقدا

وقال عبد الله بن القطار

شكوت إليه جفوته * ومن خاف الصدود شكا
فأجرى في العقيق الدرّ * واستبقاه فامتسكا
فقلت مخاطباً نفسي * أرقّ للوعتي فبكى
فقالت مابكت عينا * ولكن ثغره ضحكا

وقال أبو محمد الحسن بن محمد الرمي

وفي عيني كما في فيك منه * تري هذا وذا نظماً ونثرا

فثغرك لو يذوب لكان دمعاً * ودمعي لو تجمد كان ثغرا

وقال عفيف الدين التلمساني

رأت دموعي فقالت عينك ابتسمت * عن لؤلؤ بسلوك الجفن جذلان
وغالطتني في جمل البكا ضحكا * واستخونت أينا يا مي خوان

وقلت

بكى المحبوب لي لما استمعنا * وكان هواه فرقته تنسم
غلطت فما بكى أثراً لبعدي * ولكن ثغر ناظره تبسم

وقلت مضمناً

بمقلة محبوبي دموع تحيرت * دلالا على صب غدا وهو مغرم
فشبهت عينيه سيوفا وقد غدت * من التيه في أغمادها تتبسم

وقلت مهتدماً قول أبي الطيب

ايادمعاً به طاب اكتئابي * ولذ لي التعشق والغرام
لقد حسنت بك الاوقات حتى * كأنك في فم الجفن ابتسام

﴿ الباب الرابع والثلاثون ﴾

في بكاء المحبوب

مهيار الديلمي

ظل من العيش نعمنا به * لكنه ظل مع الصحب زائل
بكى وتبكي غير أن الاسى * دموعه غير دموع الدلال

وقال آخر

كأنما ادمعه ودمي * وقد بدت منهم طرائق
رشح مدام على بهار * ونثر طل على شقائق

وقال التهامي

لم أنسه يشكو الفراق بأدمع * ماأعتدن في الخد الأسيل مسيلا
فرأيت سيف اللحظ ليس بمغمد * من تحت أدمعه ولا مسلولا

وقال أيضاً

وراعها حرّ أنفاسي فقلت لها * هواي ناروأنفاسي من الشرر
فزاد در الثنايا در أدمعها * فالتف منتظم منه بمنتثر

وقال أيضاً

حدّر الدمع كحلها فوق خد * كان طرساً في الحسن والدمع سطرا
إن يوم الفراق غير حميد * ردجزع العيون بالدمع رداً

وكرره أيضاً فقال

ويقصر ليلى ان ألمت لأنها * صباح وهل لليل بقي مع الفجر
وقد كانت الاجفان للجزع معدناً * فصارت لفيض الدمع من صدف البحر

وقال التهامي أيضاً

وملن إلي الوداع بكل جفن * بفيض الدمع كالقرح الجمام
جرت عبراتهن على عبير * كما اصطفق الحمام على المدام

وقال أيضاً

عاجلتنا بفراقهن لجاءة * قبل الفراق وناحت الغربان
وسفحن للبين المدامع فالتقى * دران در مدامع وجمان

وقال أيضا

ولم أنسها يوم النقى در دمعها * ودر الثنايا قدها وقوامها
وقد بسمت عن ثغرها فكانه * قلائد در في العقيق انتظامها
وقد نثرت در الكلام بعينها * ولذّا يسمى عتبها وملامها

فلم أدر أي الدر أنفس قيمة * أدمعها أم ثغرها أم كلاهما
وقال أيضا

فرح الدمع خدها فرأينا * قهوة شعشعت بماء قراح

وقال آخر وهو ابن ابي حصينة

ولما وقفنا للوداع وقلبها * وقلبي يبثان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعي * عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

وقال آخر

لما وقفنا للوداع وصار ما * كنا نظن من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا * ونثرن من فوق البهار عقيقا

وقال ابن سناء الملك

وإني لأبكي وهي تبكي تطربا * جعلتك من هذا التطرب في حل
إذا استحسنوا في وردة دمعة الحيا * فما نظروا في خدها دمعة الذل

وقال الوارا الدمشقي

تصدت لنا ما بين إعراض زاهد * على حذر منها وإقبال راغب
وقد حليت أجفانها من دموعها * بأحسن مما حليت في الترايب

وقال أيضا

اجرى دموعا كنثر الدر أهملها * من نرجسيه على ياقوت وجنته
فحدرت مقلتي ذوب العقيق على * خد حكى ذهبا منه لفرقته

وقال ايضا

قالت وقد فتكت فينا لواحظه * قوموا انظروا كيف فعل الظبي بالاسد
وأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال ايضا

جعلت تشتكي الفراق وفي أجفـ * ـانها عقد لؤلئ منثور
وكأن الكحل السحيق مع الدمـ * ـع على خدها بقايا سطور

وقال ايضا

نصدت لنا والبين عنها يصدها * بإقبال ودّ دون إعراض لوم
وقد حليت أجفانها من دموعها * كما حليت ليلا سماء بأنجم

وقال ابن الساعاتي

وباك أسى خدّ له تحت دمعه * كوجنة كأس زيّنتها فواقع
وما كنت أدرى أن سيف لحاظه * إذا كلّ حدا أرهفته المدامع

وقال ابن وضاح

بكت يوم جاء البين سحاً ووابلا * وسوّغت الايام بعد تلاقيا
فقلت لها إذ أضحك الوصل ثغرها * أعنبت ذاك القطر هذا الأقاحيا

وقال السراج الوراق

لو ترى موقفنا والدمع من * مقلة المشاق والمعشوق واحد
وعقود الجيد والجفن معاً * قد تلاقى ذائب منها وجامد

وقال ناصر الدين النقيب

قلت وقد أسبل من لحاظه * در دموع وفؤادي ذاهل
واعجباً من نرجس في روضة * يقطر منه الماء وهو ذابل

وقال شهاب الدين محمود

فرثي ورقّ لما أكابده وقد * قرّت بيوم البين أدمع حسّدى
وأسال فوق أسيل خد أحمر * دمعاً تحدّر من كحيل اسود
فكأنه درّ على ياقوتة * حمراء أوطل على غصن ندى

وقلت أنا في ذلك

لاتحسبوا أن حبيبي بكى * لى رحمة يا بعد ما تحسبون
لم يبك لى من رقة إنما * أراد أن يسقي سيوف الجفون

وقلت أيضاً

تحير الدمع يوم بين * في جفن أحوى أغن أحور
كأن في فيه عقد در * فقلت ذا سيفك المجوهر

وقلت أيضاً

أيا باكياً بالدموع التي * جرت عند ما لاح ضري وحال
أتوهمني أنها رحمة * وما هي إلا دموع الدلال

وقلت أيضاً

شكوت حتى لان بعد قسوة * ورحت أبكي وهو لي يساعد
وقال ها نحن سواء في البكا * لا يا حبيبي ما بكانا واحد
لا يستوى دمع على جمر الغضا * إذا جرى ودمع عين بارد

وقلت أيضاً

بكيت والمحبوب في مجلس * والحسن والحزن لنا غيرا
فاحمرّ دمع سال في خده * واصفرّ دمع فوق خدى جرى

﴿ الباب الخامس والثلاثون ﴾

﴿ في بكا العدو وغيره رحمة ﴾

قال الوأواء الدمشقي

أيا هذه إن السحاب الذى ترى * بكت لبكائي رحمة وهي لا تدري
ولو لم تجد وجدي إذاً ما تشبهت * بروحي التي تفني ودمعي الذى يجري

قلت حذف النون من ترين على لغة من يقول

أبيت أسرى وتبيق تدلـكي ٭ البيت وقد نطق النبي صلى الله عليه وسلم بهذه اللغة فقال عليه السلام لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا الحديث٭ وما أحسن قول البحتري وما ألطفه

وقفت في الروض أبكي فقدمشبهه ٭ حتى بكت بدموعي أعين الزهر
لولم أصرها دموع العين تسفحها ٭ لرحمتي لاستعارتها من المطر

وقال الوأوأ الدمشقي أيضا وظرف

قد بكى لى مما بكيت العذول ٭ ورثى لي مما نحلت النحول
كلما قلت قد تسليت عنه ٭ قال صبري وهمت فما تقول

وقال خالد الكاتب

ظفر الشوق بقلب دنف ٭ فيك والسقم بجسم ناحل
وبكى العاذل لي من رحمة ٭ فبكائي من بكاء العاذل

وقال العباس بن الاحنف

وندمان تفرّغ من لجين ٭ على طود من الأطواد عالى
بكى لما رأى شوقى وحزني ٭ ومعذور لعمرك من بكى لى

وقال تقي الدين السروجي

سألتك وقفة قدر التشاكي ٭ أبث اليك مابى من هواك
ونظرة مشفق في حال صب ٭ لرحمة حاله تبكى البواكي

وقلت أنا في ذلك

أيها المعرض الذى ماأراه ٭ رقّ يوما ولا رثى لانتحالي
كنت أبكى من العدوّ فلما ٭ زادني الضرّ في هواك بكى لي

وقلت أيضا

وما برحت عيني الي أن رأيتها ٭ وقد وجدت في حبكم عدم الكرى

وزاد البكا عن حاجتي لتوجعي * فأبكي على من قد بكاني من الورى

الباب السادس والثلاثون

في مفردات ما يتعلق به

قال الوأواء الدمشقي

علقت ركائب حسنه * بمقولنا عند المغيب
وتظلمت وجناتنا * بيد الدموع من النحيب

وقال أيضاً

ثم ألقت ذوايباً مثل نايات زنامية بلا أنقاب
وتولت ملطومة الخد بالدمع وعادت كالشمس عند الذهاب

وقال الشريف البياضي

لقد مد الفراق إلى جفوني * أكف الدمع فاستلبت رقادي
كأن العين تشرب من دموعي * فتنبت أرضها شوك القتاد

ومثله قول المغربي إبراهيم

لم راع دمعي غداة البين من رشاء * وفى له الحسن لما خانني جلدي
لو لم يدم مطر الأجفان ما نبتت * قتادة الشوق بين القلب والكبد

وقال ابن سنا الملك أيضاً

ضلالي في تعشقه رشادي * وقتلي في محبته شهاده
فنار القلب تخبر عن شهاب * ودمع العين تروي عن قتاده

وقال ابن الرومي وهو معنى غريب لم أره لغيره

هدته من الأشواق نار دخانها * هموم عليها صبغة الليل تنفض
ووراه للعشاق دمع تقطرت * مرائرنا مما به فهو عرمض

وإراه نظر من طرف خفى ألى قول أبى الطيب

تعوّد أن لا يقضم الحب خيله * إذا الهام لم ترفع جبوب العلائق
ولا ترد الغدران إلا وماؤها * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وتسلق عليه ونقل المعنى الى ما أراد وقال البدر يوسف الذهبي

فعدِ الجفون برقدة فإلى متى * نشكو تعاقب أدمع وسهاد
لا تلتقي الأجفان فيك كأنما الا * اهداب عند الغمض شوك قتادِ

وقال أيضاً

أخفيت فى حبّيه فيض مدامع * خوف الرقيب لظي غرام مسعرا
وكذلك السيف المهنّد ماؤه * من ناره في جسمه لن يظهرا

وما أحسن قول القائل

شقت عليك يد الاسي * ثوب الدموع إلى الذبول

وقال عماد الدين السمرباوي

قال لي صاحبي دموعك تجري * من عذاب الهوى وفيك سكون
قلت قلبي يذوب وهو جليد * ولذوب الجليد تجرى العيون

وقال الخفاجى

أطلت الليالي حتي ظننـ * ـت بانك بنت بأسحارها
وغادر قلبي رقيب الجفون * فباعد مابين أشفارها

وقال أبو غانم معروف القصري

لا ضير أن تأسي على ملك مضى * أذرت مدامعها عليه عيون
ولئن بكيت وأنت طوع للنهي * فلقد تسيل من الجبال عيون

وقال شهاب الدين بن دمرطاش

روى دمع عيني عن غرامي فأشكلا * ولكنه راوى الحديث مسلسلا

وأسنده عن واقدىّ أضالعي * فأضحى صحيحاً في الغرام معللا

وقال آخر

لأعذبنّ العين غير مفكر * فيما جرت بالدمع أو سالت دما

هي أوقعتني في حبائل فتنة * لو لم تورّطني لكنت مسلّماً

سفكت دمي فلأسفحن دموعها * وهي التي ابتدأت فكانت أظلما

وقال شرف الدين البوصرى مضمناً

وأصبحت أيّمات محصناتهمو * وأيّما تهمو وهي المثاكيل

لايمسك الدمع من حزن عيونهمو * الا كما يمسك الماء الغرابيل

وقال محي الدين بن عبد الظاهر

يادمعيَ الساعي لنا في الهوى * أجر فهل ساع وما يجري

وأنت ياقلب الذى قد خرجت مثل الصبر عن أمرى

لإنسان عيني إن غدا خاسراً * للدمع فالإنسان في خسر

وقال ابن النقيب

ياويح صب اطاع حكم هوى * وفيه صار الفائق الرائق

سلوه في الهوى مسئلة * ودمع عينه جعفر الصادق

وقال الخفاجي

أنفقت بعد أبي العلا مدامعاً * حبست ذخيرتنا على الانفاق

وبكيتها وجفونها موجودة * مثل الحمام ينوح بالأطواق

وقال شمس الدين محمد بن التلمساني

عنّ لي دمية ولاح هلالا * وانثنى صعدة وفرّ غزالا

فتذللت حين دل ورخصت * دموعي في حبه فتغالى

وقال ابن عبد الظاهر

كان ظني أن يفضح الغصن بالقـــدّ وإن الزلال بالريق يزرى
فرأيت الأغصـــان ذلا لديه * واقفات والعين للدمع تذرى
وهو لماثني العنان عن النــــهر غدا فى ركابه وهو يجري

﴿ الباب السابع والثلاثون في استعارة البكا لغير الانسان ﴾

أحسن الاستعارات مانطق به القرآن الكريم في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الواحدى رحمه الله في البسيط روى أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد ألا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية • قال وذلك لانهم كانوا يعملون على الارض عملا صالحاً فيبكى عليهم وإذا لم يصعد إلى السماء كلام طيب ولا عمل صالح تبكى عليهم وهذا قول أكبر المفسرين انتهى *وقال الكواشى وغيره وفي الحديث مامن مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والأرض وعن على رضي الله عنــه إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء *وقال عطاء : بكاء السماء حمرة أطرافها • وقال السدي لما قتل الحسين بكت عليــه السماء أربعين يوما وبكاؤها حمرتها ويجوز أن يكون فما بكت عليهم أهل السماء ولا أهل الارض فحذف المضاف وأقام المضاف اليــه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية أي أهل القرية وقال بعضهم يجوز أن يكون للسما والارض بكاء حقيقة ويعلمه الله ومن يشاء من عباده كما أن لهما تسبيحاً انتهى قلت هذا ماتعلق بالآية من حيث التفسير وأما مايتعلق بها من حيث البلاغة مما له تعلق بعلم البيان فهو حسن الاستعارة وهذا الذى يؤيد ترجمة هذا الباب والكلام

على هذه الآية الكريمة من هذه الحيثية هو لب العربية وطراز التفسير فاقول اعلم ان هذه الاستعارة تسمى التهكمية وهي أحد أقسام الاستعارة لان هؤلاء الذين أخبر الله عنهم بأنهم تركوا عدة جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كانوا يعتقدون في أنفسهم لوثوقهم بدنياهم وما ملكوا من خيراتها وجبروتهم وتعاظمهم وعزهم أنهم لو ماتوا لخربت السموات والارض عليهم وأظلم الوجود وكسفت الشمس أسفاً عليهم وحزنا على ماهو الجادة في اصطلاح الشعراء إذا رثوا عظيما وأرادوا تهويل مصابه وتعظيم الخطب فيه فنطق القرآن الكريم بهذا اللفظ في حقهم تهكما بهم وسخرية فقال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض يعني أنهم كانوا أهلا لذلك ولكن مافعلت السماء والارض فى حقهم من بعدهم ما كانوا له أهلا واستحقاراً لهم وعدم التفات إلى شأنهم وأنهم كانوا أقل من ذلك وفي القرآن الكريم عدة آيات من هذا الضرب منها قوله تعالى حكاية عن شعيب «إنك لأنت الحليم الرشيد» تدل القرائن على أنه أتى بهذا اللفظ بدل السفيه الغوي وقوله تعالى «فبشرهم بعذاب أليم» تدل القرائن أنه أتي بهذا اللفظ بدل أنذرهم أو أوعدهم وقوله تعالى «ذق إنك أنت العزيز الكريم» تدل القرائن أنه أتي بهذا اللفظ بدل المهان او الذليل الحقير ولم يسمع في الشعر بمثل أبيات ابن الدروي في أحدب قيل إنها في القاضي الفاضل رحمه الله فإنه أجاد فى التلاعب بضروب الكلام وحسن التشبيه وهي مشهورة قال في آخرها

وإذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورنا فى الخيال

وأبيات ابن عنين في القاضي الفاضل أيضاً من هذا الباب وأولها

حاشا لعبد الرحيم سيدنا الفا * ضل مما تقوله السفل

ومما جاء في الشعر من استعارة البكا لغير الإنسان قول ابن نُقادة

له العلاء خصوصاً غير مشترك * لكن نداه لكل الناس مشترك
تبكي صوارمه يوم الوغا بدم * وذلك الدمع للدنيا به ضحك

وقال أيضاً

وكل غصن فيه زهر ناجم * كأنه للعين نجم زاهر
مخضرّة كأنها زمرد * قد رصعت خلاله الجواهر
ومقلة النرجس من دمع الندي * سكري وثغر الأقحوان فاغر

وقال ابن الخياط الدمشقي

سأبكي والقوافي مسعداتي * بندب من ثنائك أو مناحي
إذا ماخانني دمع بليد * بكيت بأدمع الشعرا الفصاح

وقال الشاعر الرستمي

مررنا بأكناف العقيق فأعشبت * أباطح من أجفاننا ومسائل
وكادت تناجينا الديار صبابة * وتبكي كما تبكي عليها المنازل
فمن واقف في جفنه الدمع واقف * ومن سائل في جفنه الدمع سائل

وقال الوأواء الدمشقي

وليل طويل كان لما قرنته * برؤية من أهوى قصير الجوانب
كواكبه تبكي عليه كأنما * ثكلن الدجى أوذقن هجر الحبائب

وقال أيضاً

ويوم دجن أراق الغيم دمعته * كأنما شمسه مكحولة بعمى
تململت سحبه من طول ماسحبت * وهَمْهَمَ الرعد منها فيه حين همى
بكي عليه الندى ليلا فعبّس لي * ما كان لي في نهار منه مبتسما

وقال أيضاً

في رياض تريك بالليل منها * سرجا من شقائق النعمان
كتبته أيدي السحاب بأقـ * ـلام دموع على طروس المعاني

وقال الحظيري الوراق

أقول والليل في امتداد * وأدمع الغيث في انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكي من الصباح

وقال ابن أحمد يس يصف الحرب

وباكية بعيون الجراح * إذا أضحكته ثغور الأسل
لبست الغمام لهـا شرة * وحررت بارقها المشتعل

وقال أيضاً

نثر الجوّ على الترب برد * أيّ در لنحور لو جمد
ذوّبتـه من سماء أدمع * فوق أرض تتلقاه بخد

وقال ابن أبي الاصبع وهو من أحسن تخيل وقفت عليه

رأيت بنيه إذ تبسم أدمعاً * فقلت رثي لي إذ بكي فمه حزنا
أجاد له في النظم شاعر ثغره * ولكنه من مقلتي سرق المعنى

وقال شهاب الدين بن دمرطاش

ما أبطأت أخبار من أحبته * عن مسمعي بقدومه ورجوعه
ألا جرى قلمي إليـه حافياً * وشكى إليه تشوّق بدموعه

وقال الموفق ابن عبدالله الطبيب

ولما نأت عن روض نعمان عربه * وشطت عن الوادي العقيق دارها
جرت بعدهم عين الغدير وأقسمت * غراساً بهم أن لا يقرّ قرارها

وقال ابراهيم النظام

ذكرتك والراح في راحتي * فشبت المدام بدمع غزير

فإن تنفد الدمع نار الأسى * يكتك الحشا بدموع الضمير

وقال محيي الدين محمد بن تميم في الناعورة

وناعورة شبهتها إذ رأيتها * ومازال فكري بالغرائب يسمح

تطايرتها مخضرّة كل ريشة * لها تحتها عين من الدمع تسفح

وقال شهاب الدين بن دمرتاش

يقول ليَ الدولاب راضِ حبيبك اا * ملول بما يهوى من الخير والنفع

فأنيَ من عود خلقت وهــا أنا * إذا مال عني الغصن أسقيه من دمعي

وقال بعض المغاربه

لله دولاب يفيض بجدول * في روضة قد أينعت أفنانا

باتت تطارحها الحمائم شجوها * فتجيبها وترجّع الألحانا

فكأنه دنف يدور بمعهد * يبكي ويسأل فيــه عمن بانا

ضاقت مجارى جفنه عن دمعه * فتفتحت أضلاعــه أجفانا

أخذه الزين الجوبان فنقله الي الراووق

ولما حكي الراووق في العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر

تذكر عهــداً بالكروم فكله * عيون على أيام عصر الصبا تجري

وقال آخر في الناعوره

أبدت لنا بالعذر ناعورة * أدمعها في غاية السكب

أقول لما ضاع قلبي وقد * ضعفت من نوحي ومن ندبي

جعلت جسمى كله أعينا * تدور في الماء على قلبي

وقال ابن الساعاتي في الراووق

بكى الراووق مرجاناً نثيراً * ونظّم لؤلؤا ضحك المزاج

وشمس الدجن ترشف من رضاب الــــفؤادى كل معسول المجاج

أخذ الثاني من قول القائل

باكر إلى اللذات واركب لها * نجائب اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الأقاح

وقال أبو بكر بن عبد المجيد بن أفلح

انظر إلى حسن الربيع فقطره * يحكي على الأغصان درا نابتا
وكأن غيم الجو يسكب دمعه * من حزنه والروض يضحك شامتا

وقال أبو تمام

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * إلى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيباً فما ترقا لهن مدامع

والى هنا انتهى الكتاب بحمد الله تعالى منقولا عن نسخة
كتبت في رابع ربيع الاول من سنة سبع والف
وهي من مكتبة عزتلو حضرة عبد الرحمن بيك
أحمد أباظه وأخيه حضرة نجاتي بيك أباظه
أكثر الله تعالى من أمثالهما
في مصر ممن يقوم بنشر
العلوم والمعارف
آمين

﴿ تم ﴾

فهرست

صحيفه

صحيفه

تمت